بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

البشرى ومشتقاتها في القرآن الكريم
(من منظور تداولي لساني)

Implications of Bushra Derived Forms in the Glorious Qur'an
(A Pragmatics Perspective)

إعداد الطالبة
أروى محمد سليمان بني دومي

بإشراف الدكتور
مصطفى الحيادره

الفصل الدراسي الصيفي
٢٠١٣/ ٢٠١٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البشرى ومشتقاتها في القرآن الكريم

(من منظور تداولي لساني)

إعداد

أروى محمد سليمان بني دومي

بكالوريوس لغة عربية، جامعة اليرموك، ٢٠١١

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية في جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور مصطفى طاهر الحيادره.....مشرفاً ورئيساً

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك

الدكتور محمود سالم خريسات.....عضواً

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك

الدكتور أحمد صالح الزعبي.....عضواً

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، جامعة مؤته

تاريخ مناقشة الأطروحة: ٢٠١٤/٨/٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهـــداء

إلى أبي وأمي الغاليين

أطال الله في عمرهما

إلى من بذل جهده، وأنار لي الطريق،

إلى من أعانني وساندني على إتمام هذه الرسالة

إلى زوجي الحبيب ورفيق دربي

وإلى من غمرني بسؤاله عني واهتمامه بي

والد زوجي

حفظه الله

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الخالص إلى الأستاذ المشرف الدكتور مصطفى الحيادره على تفضله وقبوله الإشراف على هذه الرسالة. وأشكر كل من قدم لي المساعدة والنصيحة من أجل إخراج الرسالة في هذه الصورة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ب

شكر وتقدير ..... ج

فهرس المحتويات ..... د

المقدمة ..... ح

موضوع الدراسة: ..... ح

أهمية الدراسة: ..... ط

أهداف الدراسة: ..... ط

الدراسات ذات الصلة: ..... ي

منهجية البحث: ..... ك

التمهيد ١

المنهج التداولي وتطبيقاته ٢

أولا: مفهوم التداولية ٢

المطلب الأول:_التداولية لغة: ٢

المطلب الثاني:_التداولية اصطلاحا: ٤

ثانيا: أهمية المنهج التداولي ٧

مفهوم البشرى ٩

المطلب الأول:_البشرى لغة: ٩

المطلب الثاني:_البشرى اصطلاحا: ١٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الصيغ الاسمية للبشرى ودلالتها

المبحث الأول:_البشرى بصيغة المصدر ١٧

أولا: بُشْرَىٰ..... ١٧

ثانيا: بُشْرًا ٤١

ثالثا: بُشْرَاكُم ٤٢

المبحث الثاني:_البشرى بصيغة المبالغة ٤٧

– بَشِيرا..... ٤٧

المبحث الثالث:_البشرى بصيغة اسم الفاعل ٥٢

أولا: مُبَشِّرِينَ..... ٥٢

ثانيا: مُبَشِّرَات..... ٥٧

الفصل الثاني

الصيغ الفعلية للبشرى ودلالتها

المبحث الأول:_البشرى بصيغة الماضي ٦٣

المطلب الأول: المبني للمعلوم..... ٦٣

– بَشَّرْنَاه ٦٣

المطلب الثاني: المبني للمجهول ٦٥

– بُشِّرَ ٦٥

المبحث الثاني:_البشرى بصيغة المضارع ٦٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولا: يُبَشِّرُكَ ٦٩

ثانيا: يَسْتَبْشِرُونَ ٧٤

ثالثا: يُبَشِّرُهُمْ ٨٠

المبحث الثالث:_البشرى بصيغة الأمر ٨٤

أولا: وَبَشِّرِ ٨٤

ثانيا: فَبَشِّرْهُمْ ٨٧

ثالثا: فَاسْتَبْشِرُوا ٨٩

الخاتمة ٩٤

المصادر والمراجع ٩٦

المراجع الالكترونية ١٠٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخص باللغة العربية

بني دومي، أروى محمد. البشرى ومشتقاتها في القرآن الكريم. من منظور تداولي لساني. رسالة ماجستير بجامعة اليرموك. ٢٠١٤ (المشرف: د. مصطفى طاهر الحيادره).

تقوم الرسالة على دراسة ألفاظ البشرى في القرآن الكريم؛ إذ تتنوع هذه الألفاظ بين الصيغ الفعلية والصيغ الاسمية، وذلك من خلال تطبيق المنهج التداولي للوصول إلى المعنى المقصود، وإلى مدى انسجام كل صيغة مع السياق الواردة فيه.

تعتمد الدراسة على المنهج التداولي، الذي يهتم بالعوامل الخارجية والداخلية في النص، من خلال النظر في البيئة الخارجية، والاهتمام بالمرسل والمستقبل، والمناسبة الخطابية، للوصول إلى المعنى الذي أفادته الآية الكريمة.

ومن خلال هذه الدراسة توصلت الباحثة إلى أنّ اختيار الهيئة الصرفيّة تتلاءم مع نفسيّة المخاطب وتؤدي دورها في التأثير عليه، وأنّ القرآن الكريم يختار من الألفاظ ما هو أوقع في القلوب، وأدلّ على المطلوب؛ إذ إنّ اللفظ هو صلة الموصول بين المتكلم والمخاطب، وبقدر ما يكون هذا اللفظ واضحا، يكون أكثر قربا من المخاطب وأكثر تأثيرا في نفسه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

القرآن الكريم كتاب الله المعجز، ورسالته الخالدة، وهو تاج العربية الأعلى، فقد كان القرآن الكريم ميدانا لمختلف العلوم والبحوث؛ حيث حاول العلماء قديماً وحديثاً دراسة لغته، وعناصر تكون الجمل، وأساليبها، ليبرزوا خصائصها وأسرارها التعبيرية، فكثُرت الدراسات والأبحاث النحوية والبلاغية والصرفية حوله. فهو الكلام المعجز من رب العالمين. إلا أنه رغم كثرة الدراسات وغزارتها حوله، لا تنقضي عجائبه ولا يبلى على كثرة الرد.

لذا حاولت الباحثة في هذه الرسالة دراسة البشرى ومشتقاتها في القرآن الكريم من منظور تداولي لساني؛ إذ تظهر ألفاظ البشرى في القرآن الكريم بهيئات متعددة بما يدعو للتوقف والتأمل؛ فقد وصل عدَدُها الكليّ إلى ثلاث وثمانين صيغة، وبلغ عدد هيئاتها الصرفية المختلفة اثنتين وأربعين، وهذه الكثرة تدعونا إلى البحث في دلالة اختلافاتها ودور كل صيغة في سياقها، وأثر الظروف المحيطة بالنص في بنائه.

موضوع الدراسة:

تقوم الرسالة على دراسة ألفاظ البشرى في القرآن الكريم؛ وذلك لكثرة تردّدها، وتنوع هيئاتها في سياق آيات الذكر الحكيم، فهذه الكثرة تدعو إلى دراسة دلالة كل صيغة على حدة، ودور كل صيغة في أداء المعنى، وذلك من خلال استقراء المواضع التي وردت فيها ألفاظ البُشرى في القرآن الكريم، لمعرفة ما تُحققه كل هيئة صرفية في السياق الواردة فيه، وما تقدمه الصيغة من خدمة للمعنى الذي أريدت له، وما هي الدلالة البلاغية التي تحملها هذه الصيغ، وما أثر الحالة الإعرابية للبشرى على المعنى والسياق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من كونها تقوم على استقراء ألفاظ القرآن الكريم المعجز بألفاظه، الدقيق في استخدام مفرداته؛ إذ إن هناك فروقا واضحة بين كل لفظة وأخرى في القرآن الكريم، وهذا الاختلاف لم يقتصر فقط على الألفاظ المترادفة، بل يكون على مستوى الصيغ المشتقة من الجذر الواحد. ولعل المتتبّع لصيغ البُشرى في القرآن الكريم ودلالة هذه الصيغ يلتمس مدى دقة اختيارها ومناسبتها للسياق، فقد بلغ عدد ألفاظ البشرى في القرآن ثلاثا وثمانين لفظة، وبلغت ألفاظها المختلفة اثنتين وأربعين صيغة، ومن خلال تدبر هذه الصيغ في سياقاتها، تجد الباحثة أن هناك فروقا دلالية دقيقة بينها، ومن هنا تبرز أهمية البحث في هذا الموضوع.

وتشكّل الرسالة حلقة جديدة من حلقات الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم. فلم تجد الباحثة من خلال اطلاعها على المكتبة العربية دراسة مستقلة تدور حول هذا الموضوع؛ إذ تقوم هذه الرسالة على دراسة صيغ البشرى دراسة تداولية وذلك من خلال الاهتمام بالمناسبة الخطابية وبالسياق.

أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة فيما يلي:

أولا: إحصاء ألفاظ البشرى، وبيان دور كل بنية صرفية في أداء المعنى، وذلك من خلال الكشف عن أهم الفروق الدلالية الدقيقة بين كل صيغة وأخرى.

ثانياً: تحليل الأبعاد التداولية في بعض آيات الكتاب العزيز لكشف جانب من الخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم على مستوى المعجم والتركيب والصورة.

ثالثاً: بيان قدرة القرآن الكريم على التأثير في متلقيه.

رابعاً: بيان مدى انسجام البنية الصرفية مع السياق القرآني الواردة فيه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدراسات ذات الصلة:

١- **التداولية والحِجَاج**، صابر الحباشة، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ٢٠٠٨. اهتمت هذه الدراسة بربط مسألة الحِجَاج بالتداولية من جميع الاتجاهات، من خلال ربط وظائف كل منها بالأخرى، وانتقلت بعد ذلك إلى تطبيق المنهج التداولي والأسلوبية والحِجَاج بوصفه المبحث الرئيسي في التداولية.

٢- **تَنوّع صيغ الكلمات ذات الأصل اللغوي الواحد في القرآن الكريم**، عودة الله منيع القيسي، رسالة دكتوراه-الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٨.

٣- **البشرى في القرآن الكريم دراسة موضوعية**، نزار عطا الله أحمد الصالح، رسالة جامعية-جامعة آل البيت، ٢٠٠٢: تقوم هذه الرسالة على عرض ألفاظ البشرى ودراستها دراسة موضوعية، إذ كان الهدف منها عرض قصص المبشَّرين من أنبياء الله وأوليائه والمؤمنين، لبعث الأمل في نفوس أفراد الأمة، وترغيبهم في الإيمان والطاعة، فهي ارتكزت على أقوال المفسرين؛ فيمكن القول أنّ هذه الدراسة كانت على الأغلب دراسة تفسيرية.

أما دراستي فهي تقوم على استقراء ألفاظ البشرى في القرآن الكريم، وذلك من خلال تطبيق المنهج التداولي، للوصول إلى المعنى المقصود (لغة وأسلوبا وسياقا)، فهو يهتم بمعنى الخطاب، لا باللفظة ذاتها، وهذا يتكئ على المتكلم واستراتيجيته في الخطاب؛ وذلك من خلال انسجام ألفاظه وتراكيبه (من مثل التقديم والتأخير في الكلام، أو تنوع صيغ البشرى ما بين الماضي، والمضارع والأمر) لتبليغ مقصده من الكلام، وطبيعة المخاطب، والمناسبة الخطابية. هذا كله وغيره من الجوانب المتعلقة بالجانب الخطابي سأتناوله في هذه الرسالة بإذن الله.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منهجية البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج التداولي، الذي يهتم بالمرسل وما يقصده من خطابه، وبالمخاطب، والمناسبة الخطابية، وذلك عن طريق حصر الآيات التي وردت فيها كلمة البشرى بجميع هيئاتها الصرفية، لتوضيح ما أفادته الآيات الكريمة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التمهيد

يتضمن الحديث عن:

المنهج التداولي وتطبيقاته:

أولا: مفهوم التداولية

المطلب الأول: التداولية لغةً

المطلب الثاني: التداولية اصطلاحاً

ثانيا: أهمية المنهج التداولي

مفهوم البشرى

المطلب الأول: البشرى لغةً

المطلب الثاني: البشرى اصطلاحاً

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنهج التداولي وتطبيقاته

أولا: مفهوم التداولية

المطلب الأول: التداولية لغة:

التداولية مصدر تداول، وهي من الفعل (دَوَلَ)، "(دول) الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يَدُلُّ على تَحَوُّل الشيء من مكان إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضعف واسترخاء"[1].

وتعني التداولية الانتقال من حال إلى حال، إذ "يقال: ... كانت الدولة لنا؛ والدولة الانتقال من حال الشدة إلى الرخاء...، وتداولنا الأمر أخذناه بالدُّوَل. وقالوا: دواليك؛ أي مداولة على الأمر"[2] جاء في أساس البلاغة قوله:" والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم. والدهر دُوَل وعُقَب ونُوَب. وتداولوا الشيء بينهم. والماشي يداول بين قدميه. يراوح بينهما"[3]. فهي من المبادلة.

مما سبق تجد الباحثة أنَّ التعريف اللغوي للتداولية ينحصر في معنى الاشتراك والتبادل والانتقال من حال إلى حال. "فالملاحظ على معاجم العربية أنّها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر(دول) على معاني: التحول والتبدل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر، أم من حال إلى أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتغيّر والتبدّل والتناقل، وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس،

---

[1]- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩، ج٢، (دول)، ص٣١٤.

[2]- **لسان العرب**، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، ج١٥، (دول)، ص١٤٥٦.

[3]- **أساس البلاغة**، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، (دول)، ج١، ص٣٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتداولونها بينهم؛ ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية، النفعية، السياقية"[1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1]- من الموقع: http://ar.wikipedia.org/wiki/تداوليات

المطلب الثاني: التداولية اصطلاحا:

ظهرت التداولية بوصفها منهجاً موضوعه بيان فاعلية اللغة متعلقة بالاستعمال من حيث الوقوف على الأغراض والمقاصد، ومن هنا تعددت الرؤى في تعريف التداولية، بناء على اهتمام الباحثين.

وقد عرفها عبد الحميد السيّد بقوله: "اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولّدها الاستعمال في السياق"[1].يهتم التعريف السابق بأطراف التفاعل الخطابي وهي: المتكلم (هدفه ومقاصده)، والمخاطب والسياق (الألفاظ المستعملة في السياق)، والزمان والمكان والأحوال الخارجية التي يبنى عليها النص.

"أما التداولية عند (غرين Green ١٩٨٩) و(بليكومور Blikmore 1990) ، فهي فهم اللغة الطبيعية. ولدى (فارسشيرن Werschueeren 1987) أن تُمعِن الفكر أكثر في استعمالات اللغة من كل جوانبها. في حين يصرح (رودوف كارناب) بأنّ التداولية هي قاعدة اللسانيات. وهي لدى (فرانسواز ريكانتي) فرع من دراسة استعمال اللغة في الخطاب"[2]. فالتداولية تميزت بخوضها في تفاصيل النص ودقائقه، لذا فقد تصدرت المناهج الأخرى التي لم تصل إلى المراحل التحليلية العميقة للنصوص.

وكان ظهور التداولية "نتيجة التصور التجريدي الذي انحصر فيه البحث اللساني، سواء مع رائد اللسانيات الحديثة (دوسوسير) الذي جعل موضوع تنظيره في اللغة دون الكلام أو التأدية، أو

١- **دراسات في اللسانيات العربية**، عبد الحميد مصطفى السيد، عمان، دار حامد، ٢٠٠٤، ص١١٩. أخذها عن البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، عثمان بن طالب، ضمن أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، سلسلة اللسانيات، ع (٦)، تونس الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، المطبعة العصرية- تونس، ١٩٨٦، ص١٢٥.

٢- **التداولية بين المنهج والطريقة**، رخرور محمد، http://www.aklaam.net/newaqlam/aqlam/show.php?id=15171

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صاحب النظرية التوليدية التحويلية (تشومسكي) الذي قصر موضوع دراسته على القدرة اللغوية دون الكلام، نتيجة لكل هذا ظهر اتجاه لساني جديد... يعرف بالاتجاه التداولي، حاول رد الاعتبار لما يعرف بالسياق الذي اعتُبِرَ في وقت مضى فَضْلَة.."[1].

واقتصر بعض الباحثين في تعريف التداولية على متعلقات المعنى فيعرفها "بأنّها دراسة المعنى التواصلي، أو معنى المرسل، في قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله"[2]. والمعنى هنا لا يهتم بالسياق وحده، ولا بالمتكلم وحده، ولا السامع، فالمعنى عبارة عن مجموع العمليات التواصلية معا بين المتكلم والسامع في سياق محدد.

تقوم التداولية على تحليل الخطاب للتمكن من المعرفة العميقة بالنص، فهي تمثل "المعرفة الشاملة بالآخر، والمعرفة العميقة بمكونات عملية الخطاب، أو هي، كما يحددها فكوني: جزء من العلم المعرفي باعتباره المستوى الوسيط بين العالم الحقيقي أو الفيزيائي وعالم اللغة".[3] فالتداولية منهج يدرس اللغة الفعلية أثناء استعمالها؛ إذ تربط بين النص والعوامل الخارجية المتعلقة بالنص، فهي كما يقول مسعود صحراوي: "مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه"[4].

فالتداولية اتجاه يهتم بجميع أطراف عملية الخطاب في موقف الخطاب؛ إذ تدرس كلّ المعطيات الخطابية التواصلية المتعلقة بالتلفظ، فهي ظاهرة تواصلية اجتماعية، بناء على اهتمامها بالتواصل الاجتماعي وبالظروف المواتية لهذا التواصل. فالتداولية تكشف الحياة في السياق لربطها النص بالعوامل الخارجية.

---

[1]- **الوظائف التداولية في المسرح**، بامة ظريفة، رسالة ماجستير، قسنطينة، جامعة منتوري، ٢٠٠٩، ص٤.

[2]- **استراتيجيات الخطاب**، عبد الهادي بن ظافر الشهري، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤، ط١، ص٢٢.
أخذها عن George Yule: pragmatics, oxford university press, 1996, p3.

[3]- **عندما نتواصل نغير**، عبد السلام عشير، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦، ص١٨.

[4]- **التداولية عند علماء العرب**، مسعود صحراوي، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٥، ص٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُبنى جميع أطراف العملية التواصلية على سياق محدد، فدراسة "أثر السياق في بنية الخطاب، ومرجع رموزه اللغوية ومعناه"[1]، توصل الباحث إلى المعنى الكامن وراء النص. ويمكن أن نعتبر السياق عاملا مهما في ظهور هذه النظرية.

ولا يمكن إغفال دور المقام الذي يلعب دوراً مهمّاً في التحليل التداولي، فموريس يرى أنّ التداولية تعنى "بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والذي استقر في ذهنه أنّ التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن، هنا)، والتعابير التي تَستَقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل"[2]. غير أنّه مهما تعددت الرؤى، وتعريفات الأدباء للتداولية، فإنّ هذه المعاني الاصطلاحية لم تُغطِّ حقيقة التداولية وهدفها من جميع نواحيها التحليلية.

وهذه الدراسة لا تهدف إلى رصد منهج التداولية، بقدر ما تهدف إلى محاولة تطبيق المنهج التداولي على آيات الذكر الحكيم (من خلال ألفاظ البشرى نموذجا)، التي تربط ما بين مناسبة النزول وتفسير معاني الآيات (مناسبة القول والظروف المحيطة به، التي أدت إلى ورود هذه الآيات على هذا النحو من تركيب الجمل وصياغة الكلمات) في السياق القرآني.

---

[1] – **التداولية عند علماء العرب**، مسعود صحراوي، ص٦.

[2] – **التداولية اليوم** –علم جديد في التواصل–، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٣، ص٢٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا: أهمية المنهج التداولي

شغل الخطاب بأنواعه المختلفة اهتمام الأدباء والدارسين، فلم يكتف الأدباء بالتيارات الأدبية القائمة على تحليل الخطاب الأدبي من المنهج البنيوي والتحليلي، فانبثقت التداولية على ساحة الدرس اللساني نتيجة لقصور التيارات اللسانية على الرغم من تعددها وكثرة أفرعها؛ إذ "تعد المناهج المعاصرة من الأهمية بمكان، أن صارت تستشعر كنه الأدب و اللغة بما يقارب المفهوم العلمي، وذلك في تناولها للقضايا بدقة ووضوح، وتعد التداولية -باعتبارها استراتيجية هامة في تحليل الخطاب- أقدر هذه المناهج بما تتيحه من إجراءات فعالة وهذا يعني "الجمع بين المنهج البنائي الوصفي و المنهج التفسيري... لأننا نحتاج إلى تفسير الظواهر الثقافية أكثر من وصفها، وأنّ الوصف وحده يعزل الأثر الأدبي عن المجتمع والتاريخ"[1].

ارتقت التداولية بالنصوص الأدبية، بما امتازت به من اهتمامها بجميع أطراف العملية الخطابية من السياق والمتكلم والمخاطب.. في تحليل النصوص؛ يقول عبد السلام عشير: "وهكذا هزت التداولية كثيرا من الوثوقيات والمسلمات التي سادت في التحليل اللساني الدلالي، على اعتبار أنّ ممارسة اللغة إنجازا وإبداعا وأخلاقا، هي قاعدة كلّ أنواع الإبداعات الكائنة والممكنة"[2].

انبثقت أهمية التداولية عند الدارسين والأدباء من اتساع دائرة تحليلها للنص، من خلال اهتمامها باستعمال اللغة وبمستعمليها ووظائفها، وتراكيب اللغة وبدلالة الخطاب في السياق[3]، وأفعال الكلام المنبثقة من الاستعمال، "كما تختص ببيان المقاصد والغايات التي تصاحب الأداء انطلاقا من أنماط المقامات التي تُنْجَز فيها"[4].

---

[1]- **التداولية منهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب**، سعد بولنوار، بحث، منشور، http://www.qooob.com/showthread.php?t=24493.

[2]- **عندما نتواصل نغير**، عبد السلام عشير، ص٦٣.

[3]- ينظر: المصدر السابق، ص٢١.

[4]- **دراسات في اللسانيات العربية**، عبد الحميد السيد، ص ١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مما سبق يتضح الإطار العام للهدف الذي تسعى إليه التداولية، فهي تتجاوز النظرية الشكلية للغة؛ إذ تدعو إلى ضرورة الاهتمام بالمقام والمناسبة الخطابية عند استعمال اللغة، يقول عبد السلام عشير مؤكدا أهمية المقام والاستعمال: "وهكذا اعتبر اللجوء إلى الاستعمال والمقام (وهما مفهومان تداوليان) هدفا يجعل العلاقات الدلالية تكشف عن نفسها في الأقوال بدل تركها قابعة في أعماق الأفراد، فما يثيره القول وما يعبر عنه المعنى هو معناه التداولي مقابل معناه التمثيلي أو الدلالي"[1].

فالتداولية تدرس اللغة بكثير من العمق؛ فهي تربط ما بين أطراف التفاعل الخطابي بين المتكلم والسامع والظروف المواتية التي أدت إلى إنتاج هذا الخطاب، وغير ذلك مما يساعدنا للوصول إلى الحقيقة الكامنة وراء النص والمعنى المقصود منه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

[1]- عندما نتواصل نغير، عبد السلام، ص٦١.

مفهوم البشرى

المطلب الأول: البشرى لغة:

ذكر صاحب العين أنّ البُشرى والبشر والبشير والبشرة تعود في جذرها إلى بشر[1]. "البشرة أعلى جلدة الوجه والجسد من الإنسان، ويعنى به اللون والرقة"[2]؛ لذا أُطلِق على إتيان الرجل زوجته (مباشرة)، وذلك لتلاقي أبشارهما[3]. قال تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فالبَشَرة والبُشرى تلتقيان في المعنى في أنّ آثار البِشارة تظهر على وجه الإنسان من الفرح والسرور، فإخبار الإنسان بما يسرّه يسمى بشرة (أي أبشرته بحيث يظهر على وجهه آثار الفرح والسرور).

وورد في مقاييس اللّغة بأنّ "الباء والشين والرّاء أصلٌ واحد وهو ظهور الشيء مع حُسن وجمال، فالبشرة ظاهر جلد الإنسان،... وسُمّي البَشر بشراً لظهورهم"[4]. وقيل: "سمي الإنسان بشراً؛ لتَجرُّد بشَرَتِه من الشَّعر والصُّوف والوَبَر"[5].

---

[1]- ينظر: **كتاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٦، ص٢٥٩.

[2]- **لسان العرب**، ابن منظور، ج١، مادة (بشر)، ص٢٨٦.

[3]- ينظر: المصدر السابق، مادة (بشر).

[4]- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس، ج١، مادة (بشر)، ص٢٥١.

[5]- **تاج العروس من جواهر القاموس**، المرتضى الزبيدي، دار الهداية، ج١٠، مادة (بشر)، ص١٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يرى الزبيدي أنّ إطلاق البشر على الإنسان من باب المجاز ولا يقصد به حقيقة الشيء، وقد يسمى حقيقة عرفية[1]. والبِشارة هي الجمال وحسن الهيئة وطلاقة الوجه[2]، فهو ما يظهر على وجه الإنسان وبشرته من آثار ما بُشّر به.

وفي الحديث "من أحب القرآن فليَبْشَرْ"[3]، "أي: فليَفرح وليُسَرّ؛ أراد أنّ محبة القرآن دليل على محض الإيمان من بَشِرَ يَبْشَرُ بالفتح، ومن رواه بالضم فهو من بَشَرْتُ الأَدِيم أَبْشُرُهُ إذا أخذت باطنه بالشَّفْرَةِ، فيكون معناه: فليُضَمِّر نفسَه للقرآن فإنّ الاستِكثار من الطَّعام يُنْسِيه القرآن"[4]. "وأبشرت الأرض: بشاراً: بذرت فظهر نباتاً حسناً"[5].

جاء في اللسان "وبَشَرَ الجَرادُ الأَرضَ يَبْشُرُها بَشْراً؛ قَشَرَها، وأكل ما عليها؛ كأنّ ظاهر الأرض بَشَرَتُها، وما أحسن بَشَرَتَهُ؛ أي سحْناءَهُ وهَيْئَتَه، وأَبْشَرَتِ الأرض إذا أخرجت نباتها، وأبشَرَتِ الأرض إبْشاراً: بُذِرَتْ فظهر نباتها حَسَنا، فيُقال عند ذلك: ما أحسنَ بشَرَتَها، وقال أبو زياد الأحمر: أَمْشَرَتِ الأرض وما أحسنَ مُشَرَتَها. وَبَشَرَةُ الأرض: ما ظهر من نباتها. والبَشَرَةُ: البَقْلُ والعُشب وكلُّهُ من البَشَرَة"[6]، فالبشرة هي ظاهر الشيء وقشرته.

---

[1]- ينظر: **تاج العروس**، ج١٠، مادة (بشر)، ص١٨٣.

[2]- ينظر: **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧، ط١، ج١، ص٣١٠.

[3]- **سُنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ج٢، حديث رقم ٣٣٢٣، ص٥٢٥.

[4]- **لسان العرب**، ج١، مادة (بشر).

[5]- المصدر السابق، مادة (بشر).

[6]- السابق، مادة (بشر).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأورد الأزهري في تهذيب اللغة أنّ أصل البِشارة تعود إلى انبساط بشرة الإنسان[1]، ويطلق على الرياح الخيرة مبشّرات، لما يتبعها من الغيث، وإذا اخضرت الأرض بالأشجار يقال أبشرت الأرض[2].

واختلف أهلُ اللّغة في اختصاص البِشارة بالخير، فذهب بعضهم إلى أنّها تكون في الخير والشّر[3]، ورأى أحمد بن فارس أنّ البِشارة بالخير والنذارة بغيره[4]. وقال الرازي: "التبشيرُ في عُرف اللّغة مُختص بالخير، إلّا أنّه وبحسب أصل اللّغة عبارة عن الخبر الذي يُؤثّر في البشرة تغيّراً، وهذا يكون للحُزن فوجب أن يكون لفظُ التبشير حقيقة في القسمين"[5]، وترى الباحثة أن البِشارة مقصورة على الخير، وإذا استخدمت في الشر، فإنها تكون مقيدة بما يدل على الشر[6]، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

فالبشرى لفظ عام يراد به الخير، أما إذا استخدم لغير ذلك فإنه يقيد بما يدل عليه، فلو اقتصرت الآية الكريمة على قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ دون إتباعه بـ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فإنه يُفهم مباشرة أنها للخير، لذا اتْبِعَت بما يُزيل الإبهام من الآية الكريمة بقوله: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وهذا من باب التهكم والسخرية.

١- ينظر: **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١، ط١، ج١١، ص٢٤٥.

٢- ينظر: المصدر السابق، ج١١، ص٢٤٥.

٣- ينظر: **المُخصّص**، ابن سيده علي بن إسماعيل، تحقيق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦، ج٤، ص٣٤٠. وينظر: **تهذيب اللغة**، ج١١، ص٢٤٥.

٤- ينظر: **معجم مقاييس اللغة**، أحمد ابن فارس، ج١، مادة (بشر).

٥- **تفسير الفخر الرازي**، محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر، ١٩٨١، ط١، جـ٢٠، ص٥٦.

٦- ينظر: **الصحاح -تاج اللغة وصحاح العربية-**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠، ط٤، ج٢، ص٥٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واختصت البشرى بإدخال السرور إلى قلب المبشر، وإظهار آثار البهجة على بشرته، فيقال: "... أبشِر بخير، بقطع الألف. ومنه قوله تعالى: ﴿وأبشروا بالجنة﴾. وبَشِرْتُ بكذا بالكسر، أَبْشَرُ، أي اسْتَبْشَرْتُ به. وقال عطية بن زيد الجاهلي:

وإذا رأيت الباهشين إلى العُلَى غُبْراً أكُفُّهُمُ بقاعٍ مُمحِلِ

فأعِنْهُمُ وابْشَرْ بما بَشِرُوا به وإذا هُم نَزَلُوا بضَنْكٍ فانْزِلِ...

وأتاني أمرٌ بُشِرْتُ به، أي سُرِرْتُ به. ويَشَرَني فلانٌ بوجهٍ حسنٍ، أي لقِيني. وهو حَسَنُ البِشْرِ بالكسر، أي طَلْقُ الوجهِ"[1]. فالبِشارة من الجمال والبشاشة وانبساط الوجه[2].

ويقول صاحب اللسان: إن البِشارة "لا تكون إلاَّ بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾"[3]. فمما لاشك فيه أن البِشارة لفظ عام اختص بالخير، فالرياح المبشرات كما أوردت من قبل هي التي يتبعها الخير من الغيث، ويقال لفلان: بَشِّرْ؛ أي بَشِّرْنا بالخير، والأرض إذا أخرجت ثمرها؛ يقال أبْشَرَت الأرض، ونقول: فلان وجهه بشير (أي منبسط يعلو بشرته السرور والبشاشة).

وما يحتاج إلى وقفة عند تأمل معاجم اللغة هو هل البِشارة والبشرة من أصل واحد كما ذكر ابن فارس، وهل الصِّلة بين معنييهما تُوجب وحَدة الأصل؟[4].

ولا يمكن القول: إن البِشارة والبشرة كلاهما واحد، خصوصا، وإن القرآن الكريم عبر بالبشر عن آدم والأنبياء والرسل والإنسان، وبالبِشارة عن بشارة الله تعالى للمؤمنين والمجاهدين، وسمى

---

[1]- **الصحاح**، ج٢، ص٥٩٠.

[2]- ينظر: **تهذيب اللغة**، ج١١، ص٢٤٥.

[3]- **لسان العرب**، ج١، مادة (بشر).

[4]- ينظر: **معجم مقاييس اللغة**، ج١، ص٢٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأنبياء عليهم السلام مُبَشِرين[1]. يمكن القول إن البِشارة مرتبطة بشيء معنوي، فهي متصلة بالسعادة والسرور، وإدخال الطمأنينة على قلوب المؤمنين والصابرين، وذلك للتخفيف عليهم ومدهم بالقوة والصبر والأمل لما سيأتي.

بينما البشرُ عبارة عن مسمى للإنسان والأنبياء، وذلك لما يعلو جسم الإنسان من طبقة البشرة وهي ظاهر جسمه، ولا يعني ذلك نفي الصلة التي تربط بينهما، فالصلة باقية والوحدة هي المراد نفيها.

المطلب الثاني: البشرى اصطلاحا:

ذَكَرَ الراغب أنَّ "البُشرى تُطلَقُ على الخَبَرِ السَّار"[2]، وعرّفها الكفوي بقوله: "البِشارة اسم لخبر يغيّر بشرة الوجه مطلقاً، ساراً كان أم مُحزِناً، إلاّ أنه غلب استعمالها في الأول، وصار اللّفظ حقيقة له بحكم العُرف حتى لا يفهم منه غيره. فالمعنى العرفي للبِشارة: هو الخبر الصدق السارّ، الذي ليس عند المخبر به علمه، ووجود المبشر به وقت البِشارة ليس بلازم"[3]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾ [الصافات: ١١٢].

وعرّفها الجرجاني "بأنها كل خبر صدق تتغيّر به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشرّ، وفي الخير أغلب"[4]. وذكر أبو حيّان الأندلسي أنّ "البِشارة أول خبر يرد على الإنسان من خيرٍ كان أو شر، وأكثر استعماله في الخير"[5].

---

[1]- ينظُر: **نقد وتصحيح لمفردات الرّاغب الأصفهاني**، علي الكوراني العاملي، بحث منشور على الموقع www.alameli.net.

[2]- **المفردات في غريب القرآن**، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، بيروت، دار المعرفة، ص٤٨.

[3]- **الكليات**، أبو البقاء الحسيني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨، ط٢، ص٣٩.

[4]- **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨، ط٣، ص٤٥.

[5]- **تفسير البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣، ط١، ج١، ص٢٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يظهر لنا من التعريفات السابقة أن العلماء فسروا البشرى من ناحيتين، الأولى ما يظهر من آثار على ملامح البشرة بعد علم المخبر به، والناحية الثانية ارتباط مفهوم البشرى بالخير أو الشر، واختلاف العلماء في الناحية الثانية يؤدي إلى تغير المفهوم، فمن عمم مفهوم البشرى (أي ارتباطه بالخير والشر معا)، عمم المعنى الاصطلاحي للبشرى، فتطلق على تغير البشرة مطلقا. ومن رأى أن البشرى مقتصرة على الخير قيد المفهوم الاصطلاحي بالخبر السار.

وترجح الباحثة الرأي الذي يذهب إلى أن لفظ البشرى في القرآن الكريم اختص بالخير، والأبلغ أن يكون في الشر من باب التهكم والسخرية، وقوله تعالى: ﴿وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ١٧] يُظهر هذا الوجه التهكمي بوضوح. وما جعل الباحثة تميل إلى ترجيح كونها مقصورة على جانب الخير، أن النظر في المعاجم بترتيبها التاريخي، يكشف أنها لم تنقل عن العرب قولاً يعني البِشارة بالشر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الصيغ الاسمية للبشرى ودلالتها

المبحث الأول: البشرى بصيغة المصدر

بُشْرَىٰ

بُشْرًا

بُشْرَاكُم

المبحث الثاني: البشرى بصيغة المبالغة

بَشِيرا

المبحث الثالث: البشرى بصيغة اسم الفاعل

مُبَشِّرِين

مُبَشِّرَات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الصيغ الاسمية للبشرى ودلالتها

من مظاهر إعجاز القرآن الكريم تنوع توظيف الصيغ المشتقة من أصل واحد، فلكل كلمة عربية جذر لغوي هو الأصل في كل الصيغ التي اشتقت منه، وهذا الأساس الاشتقاقي يجمع بين المشتقات في دلالة معينة عامة، لا تخرج أحد المشتقات عنها.

يتناول هذا الفصل الصيغ الاسمية في القرآن الكريم؛ إذ تتنوع هذه الصيغ ما بين المصدر وصيغة المبالغة واسم الفاعل، فكان لا بد من تناول الجوانب الدلالية والتداولية لهذه الصيغ، من مثل النظر في أسباب نزول الآيات، والنظر في شأن المتكلم والمخاطب، وكل ما يتعلق بالنص. وذلك للتوصل إلى الدلالة المقصودة من هذه الاشتقاقات المتنوعة في سياقات القرآن الكريم، والموجه الحقيقي للدلالة في سياق القرآن إنما هو الآية التي ترد فيها هذه الصيغ، بالإضافة إلى السياق العام للسورة؛ لذا فإن الباحثة حاولت الوقوف على بعض هذه التنويعات في الصيغ الاشتقاقية لتبين ما تحتويه من دلالات، وما تهدف إليه من مقاصد.

تختلف الصيغة الاسمية في الدلالة عن الصيغة الفعلية، فالفعل يدل على التجدد والاستمرار والتغير، أما الاسم فيدل على الثبوت والاستقرار، فالاسم أقوى في التعبير من الفعل، فيستخدم الاسم في النص القرآني للتأكيد على ثبوت الأمر واستقراره. إلا أن الأسماء تختلف في درجة الثبوت، فالمصدر أكثر دلالة على الثبوت من اسم الفاعل، ويؤكد ذلك الاختلاف العدول في النص القرآني، فنجد أن النص ينتقل من مشتق إلى مشتق آخر لمناسبة السياق. وفيما يأتي تفصيل لذلك:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

البشرى بصيغة المصدر

أولا: بُشْرَىٰ

تناولتُ تحت هذه الصيغة عددا من الآيات:

١. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

قال الإمام الطبري: "أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا على أنّ هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل؛ إذ زعموا أنّ جبريل عدوٌ لهم، وأنّ ميكائيل وليٌ لهم"[١]. وأشار الزمخشري إلى أنّ السبب في عداوتِهم أنّه كان يتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم[٢]، فلمّا كان عداؤهم لمحمد صلى الله عليه وسلم، قالوا: إنّ جبريل عدو لهم، فهو ينزلُ بالدمار والعذاب كما يقولون[٣].

ولم يكتف اليهود بعداوة الأنبياء والمرسلين وقتلهم، ولكنهم تجرؤوا على عداوة الملائكة المبعوثين من عند الله تعالى، وحجتهم في عداوتهم جبريل -عليه السلام- أنه يأتيهم بالدمار والعذاب، ولا يأتيهم بالخير أبدا، إلا أن الله -عز وجل- أنزل هذه الآية الكريمة لتنفي ما اتهموا به جبريل -عليه السلام-، فهو ينزل بالبشرى لمن صدّق وآمن بالله تعالى وبالملائكة والأنبياء، ومن اهتدى بالقرآن.

وقوله تعالى:﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا﴾، لم يذكر فاعل العداوة، وفيه إشعار بإهانة المعادين جبريلَ، وتحقير لشأنهم، وعدم الاكتراث لأمرهم.

---

[١]- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، ٢٠٠١، ج٢، ص ٢٨٣.

[٢]- ينظر: **الكشاف**، الزمخشري، ج١، ص٣٠١.

[٣]- ينظر: **في ظلال القرآن**، سيد قطب، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٣، ط٣٢، ج١، ص٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول ابن كثير في معنى الآية الكريمة: "أي: من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رسل الله ملكي [عليه وعلى سائر إخوانه من الملائكة السلام]، ومن عادى رسولا، فقد عادى جميع الرسل، كما أنّ من آمن برسول فإنّه يلزَمُهُ الإيمان بجميع الرسل، وكما أنّ من كفر برسول، فإنه يلزَمُهُ الكفر بجميع الرسل... لأنّ جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنّما ينزل بأمر ربه كما قال: ﴿وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]"[1]. فعداوة جبريل كفر بالله وبرسله وبآياته وملائكته، لأنّ عداوتهم تكون لما يُنزّل من عند الله تعالى[2].

وفي قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾، حُجّة على من عادى جبريل -عليه السلام-، فهو ينزل بإذن الله تعالى ليخاطب قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فعداوته لا يجوز أن تصدَّ عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم[3]، والإيمان بالقرآن، فجبريل وميكائيل وغيرهما من الملائكة ينزلون بأمر من الله تعالى، مهما كانت أسباب هذه العداوة، لا يصح أن تصدّهم عن الإيمان بما أنزل الله من عنده.

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيها حجة أخرى عليهم، فإن كانت عداوة اليهود جبريل تصدّهم عن الإيمان بما نزل به، فلينظروا في هذا الكتاب الكريم؛ فالنظر فيه يبين لهم أنّ هذا الكتاب جاء مصدقا للكتب التي أنزلها الله من قبل على الأمم السابقة، موافقا لما جاء فيها، فإنّ لم

---

[1]- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ١٩٩٩، ج١، ص٣٤١-٣٤٢.

[2]- ينظر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠، ج١، ص٦٠.

[3]- ينظر: **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا، القاهرة، دار المنار، ١٩٤٧، ج١، ص٣٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يؤمنوا لأن جبريل ينزل بها، فليؤمنوا بالقرآن لأجل هذا التصديق[1]، الذي فيه إثبات لحقيقة هذا الكتاب الكريم، فهو لم ينزل هباء منثورا، بل جاء موافقا للكتب السماوية السابقة، التي نزلت جميعها من عند الله تعالى، ودعوتها واحدة؛ وهي أنّ الله هو الواحد الذي لا شريك له. فعدم إيمانهم بالقرآن على الرغم من كل هذه الحقائق يثبت أنّ عداوتهم جبريل اتخذوها ذريعة لهم.

وتلت هذه الحجة حجة ثالثة، وهي أنّ القرآن نزل هاديا ومبشرا للمؤمنين، فإن كانت عداوتهم جبريل لأنّه أنذر بخراب بيت المقدس، فهو أنزل هذا القرآن هداية للناس، وتبشيرا للمؤمنين، فما لهؤلاء اليهود يتركون الإيمان بالكتاب العزيز، على الرغم أنّه يُخرِجُ النّاس من ضلالهم إلى نور الهداية والإيمان، ويتبع هذه الهداية بالبشرى لأهل الإيمان، أمّا الإنذار بخراب بيت المقدس فهو للمفسدين[2].

وعند النظر في الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية نجد أنّ كلمة (مصدقا) تكرر ذكرها عدة مرات؛ إذ إنّ تكرار ذكرها يؤكد أنّ هذا القرآن جاء موافقا لما مع اليهود من التوراة، فلا يجوز لهم أن يكفروا به. إلا أنّ الله تعالى ربط ما جاء به جبريل -عليه السلام- في هذه الآية بالهداية والبشرى، وبهذا يبين لليهود، ويؤكد لهم أنّ جبريل ينزل بالبشرى والخير، وفي هذا تعظيم لسيدنا جبريل -عليه السلام- وبيان لمكانته عند الله تعالى، فلم يكتف بذكر أنّه (مصدقا)، بل أتبعه بالهداية والبشرى، وهي للمؤمنين وليست لهؤلاء الجاحدين.

والناظر في الآية الكريمة يجد أنّ التصديق جاء أولا، ثم تلته الهداية، وبعدهما البشرى، فما الحكمة المرادة من هذا الترتيب؟ ذلك أنّ في ترتيب هذه الأسماء، وتقديم بعضها على بعض غاية عظيمة يوحي بها النص؛ فالغاية الأولى بعد نزول القرآن الكريم هو إثبات أنّ هذا الكتاب على

---

[1]- ينظر: **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا، ج١، ص٣٩٢.

[2]- ينظر: السابق، ج١، ص٣٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حق، وأنه من عند الله –جل وعلا–؛ لذا فهو نزل بداية لتصديق الكتب السماوية السابقة، مكملا للعقيدة الإسلامية. فجميع الكتب السماوية مبدأها واحد، وهو الدعوة إلى وحدانية الله تعالى. فإذا تحققت هذه الغاية جاءت المرحلة التالية وهي الهداية، فمن صدق بالقرآن آمن به واهتدى. وهو بشرى لمن حصلت له الهداية[1]. فالقرآن نزل بداية تصديقا لما سبق من الكتب السماوية، وليبين طريق الهداية للناس، وليبشّر المؤمنين بجزائهم في الدنيا والآخرة.

والسؤال هنا لماذا خص الله تعالى بشرى القرآن بالمؤمنين، مع أنّ القرآن كما هو معلوم يقينا نزل للناس كافة؟ يجيب السمين الحلبي على ذلك بقوله: "وخصّ المؤمنين؛ لأنّهم هم المنتفعون به دون غيرهم"[2]، فالقرآن لا يكون بشرى إلا لمن آمن بالقرآن واهتدى، يقول الرازي معللا ذلك: "لأنّ البشرى عبارة عن الخبر الدال على حصول الخير العظيم، وهو لا يحصل إلا في حق المؤمنين، فلهذا خصهم بذلك"[3].

يجد الناظر في الآية الكريمة السابقة أن السياق عدل في العطف عن اسم الفاعل (هادياً ومبشّراً) إلى المصدرية (هدى وبشرى)، وهذا يحتاج إلى وقفة؛ ذلك أن التحول في الصيغ الصرفية له أغراض دلالية.

فالعدول بهذه الطريقة بإحداث تغيير في اشتقاق اللفظة المعطوفة، على الرغم من أننا نجد التناسق والتناغم اللفظي في آيات الذكر الحكيم، يدلنا على أنّ هناك حكمة مقصودة وراء هذا الاختلاف، فالأصل في العطف تشابه المعطوف مع المعطوف عليه، فهذا العدول جاء لغايات عديدة ومقاصد أرادها الله عز وجل، ليوجهها إلى من يخاطبهم بالهداية والبشرى، فتأتي بالدرجة

---

[1]– ينظر: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، ج٢، ص٢٢.

[2]– المصدر السابق، ص٢٢.

[3]– **تفسير الفخر الرازي**، محمد الرازي، ج٣، ص٢١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأولى للفت الانتباه إلى هاتين الكلمتين لعدولهما عن السياق ومخالفتهما ما سبق، ويبين أنّ التصديق يختلف عن الهداية والبشرى في الدرجة والأهمية، وغير ذلك من المقاصد التي أرادها سبحانه جل في علاه.

وقد أشار أبو حيان إلى أنّ "هدى وبشرى معطوفان على (مصدقا) فهما حالان، فيكون من وضع المصدر موضع اسم الفاعل كأنّه قال: هاديا ومبشرا، أو من باب المبالغة، كأنّه لما حصل به الهدى والبشرى، جعله نفس الهدى والبشرى، والألف في بشرى للتأنيث"[1]. وقول أبي حيان بأنّ المصدر هنا يكون بمعنى اسم الفاعل، فإن هذا لا يتلاءم مع العدول القرآني الذي لا يكون عبثا، أمّا التعليل بالمبالغة فهو أحد دلالات العدول.

وقد أشار ابن جني إلى المصدر قائلا: "وصفت (العرب) بالمصدر لأمرين: أحدهما صناعي، والآخر معنوي. فأما المعنوي فلأنه إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنّه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل"[2]، وهذا المعنى جدير بأن ينطبق على الآية الكريمة، فكأنّ القرآن الذي أنزل لغاية الهدى والبشرى هو الهدى والبشرى ذاتهما؛ لذلك عمم الله تعالى الفاعل في العداوة لجبريل مع خصوصهما في الأصل باليهود، وخصّ المؤمنين بالهدى والبشرى مع عمومهما بالحقيقة لجميع الناس.

ويقول تمام حسان في كتاب (اللغة العربية مبناها ومعناها) في معنى المصدر: "فيمتاز الاسم عن جميع الأقسام الأخرى [وهي الفعل والصفة والضمير والأداة.....]، بأنّه يدل على مسمى، أمّا الصفة فلا تدل على مسمّى، وإنّما تدل على "موصوف" بالحدث. وأما الفعل فلا يدل

---

[1]- **تفسير البحر المحيط**، أبو حيان، ج١، ص٤٨٩.

[2]- **الخَصائص**، ابن جني، تَحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ت، د.ط، ج٣، ص٢٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على مسمى، وإنما يدل على "اقتران حدث وزمن""[1]؛ فالبشرى ليست من صفات القرآن، إنّما نجدها ملتصقة به فكأنّ البشرى اسم للكتاب العزيز، وهذا يؤكد ثبوتها وملازمتها له دون تغير وتجدد، والمصدر أقوى وأثبت من الفعل، ومن اسم الفاعل الذي يدل على الحدوث أي التغير[2]. فالمصدر يدل على الثبوت والكمال[3].

ولم تَرِدِ البُشرى مثلا بالصيغة الفعلية؛ وذلك للفارق في المعنى بين الاسم والفعل، فالفعل مرتبط بزمن معين؛ ذلك أنّ المضارع لا يحدث إلا في الحال، والماضي كذلك محدد بزمن، ولا شك أنّ البشرى بالصيغة الفعلية تكون محدودة في ذلك الزمان، أمّا البشرى بالصيغة المصدرية فإنها مطلقة لا تنقطع، ولا تحدد بزمن ولا بفاعل معين، فالبشرى، كما تشير إليها الآية الكريمة، غير منقطعة.[4]

والصيغة الاسمية أقوى من الصيغة الفعلية، ولا شك أن اسم الفاعل أقوى من الفعل في أداء المعنى، إلا أن المصدر أقوى في الدلالة، وأثبت في المعنى، فقولك: (مبشّر) أقوى من (يبشّر)، وقولك: (بشرى) أقوى وأدل وأثبت من (مبشّر)، فاختيار الصيغة المصدرية أولى من اختيار الصيغة الفعلية أو صيغة اسم الفاعل؛ إذ إنّ المصدر هو أدلّ على ثبات البشرى واستمرارها.[5]

---

[1]- **اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسان، المغرب، دار الثقافة، ١٩٩٤، ص٩٥.

[2]- ينظر: **معاني الأبنية العربية**، فاضل صالح السامرائي، عمان ، دار عمار، ٢٠٠٨، ط٢، ص٤١.

[3]- ينظر: **شواهد في الإعجاز القرآني -دراسة لغوية ودلالية-**، عودة أبو عودة، عمان، دار آفاق للنشر، ١٩٩٦، ص٣٥٧.

[4]- ينظر: **لمسات بيانية في نصوص التنزيل**، فاضل صالح السامرائي، عمان، دار عمار، ٢٠١٢، ط٨، ص١٤.

[5]- ينظر: المصدر السابق، ص١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولعلّ اختلاف (هدى وبشرى) عن (مصدقا) كما ترى الباحثة لغاية عَقَدِيَّة، وهي أنّ التصديق أمر، والهداية والبشرى أمر آخر، فالتصديق أمر عَقَدِيّ لا بد منه ولا شك فيه، أما الهداية والبشرى فهما نتيجة لهذا التصديق.

فالقرآن "يصدق في عمومه ما سبقه من الكتب السماوية وجميع الديانات الإلهية، وهو هدى وبشرى للقلوب المؤمنة، التي تتفتح له وتستجيب له"[1].

والمصدرية أولى في هذا المقام، فهي تتلاءم مع السياق القرآني، ومع السبب الذي نزلت لأجله الآية الكريمة، ففي عداوتهم استهزاء بجبريل عليه السلام، وبما ينزل به، فجيء بالمصدر الذي فيه تعظيم لما نزل به جبريل عليه السلام، والتبشير يناسب حال المؤمنين، ففي هذا الكتاب الخير والمبشرات الكثيرة التي لا حصر لها، وكثير منها وردت في هذا الكتاب العزيز، منها تبشير الأنبياء والمؤمنين، وتبشير المجاهدين والصابرين، وفي هذا تثبيت للمؤمنين.

ولا مجال لذكر هذه المبشّرات، حتى لا ينشغل القارئ بها عن السبب الرئيس الذي نزلت لأجله الآية، فلا يناسب المقام ذكر المبشّرات وتعدادها، لذا اختصرت بصيغة المصدر الذي يدل على اتساعها، فجاءت البشرى بصيغة المصدر، "لسعة الكلام والاختصار"[2] كما يقول سيبويه.

ومن دلالات المصدر الذي جاءت فيه ألف التأنيث، أن يكون مصدرا لتكثير الفعل[3]، فالتكثير في الفعل يكسب الصيغة إطلاقية البشرى ويعطي دلالة التعميم[4]، الذي يعني تشعب أشكال البشرى وصورها، وعدم محدوديتها بشكل أو زمن.

---

[1]- **في ظلال القرآن**، ج١، ص٩٣.

[2]- **الكتاب**، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨، ط٣، ج١، ص٢٢٢.

[3]- ينظر: **دلالة البنية الصرفية في السور القصار الراية**، جلال الدين يوسف العيداني ، عمان، ٢٠١٠م، ط١، ص٤٤.

[4]- ينظر: المصدر السابق، ص٤٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واختلف أهل اللغة في ألف (بشرى)، فمنهم من رأى أنها للتأنيث[1]، ومنهم من جعلها لمجرد تكثير الكلمة[2]. ولا تَعارُض بين القولين؛ إذ لا مانع من كونها ألف التأنيث أن يدل ورودها في هذه الصيغة على تكثير الكلمة وتوفير لفظها، إضافة إلى ما يضفيه التأنيث عليها من رقة وخفة ولطف يناسب البِشارة[3].

وما يزيد ثبوت الهدى والبشرى للقرآن الكريم ورودهما حالا في الكتاب العزيز، فالحال في هذه الآية وقع وصفاً ثابتاً، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، فـ (مُفَصَّلًا) حال من الكتاب، وهي تدل على ثبوت الوصف للكتاب، فلا توصف بالتجدد، وذلك لقدم الكتاب[4].

وقد ناسب وصف القرآن بالبشرى طبيعة السياق الذي وردت فيه، فالسياق كله يتحدث عن حقد اليهود، وبغضهم، وحسدهم للإسلام والمسلمين، وهم يعلمون أن القرآن خير محض، فلم يَرُدُّ الله عليهم من جهة خيريّته، بل رد عليهم بما يناسب ما في نفوسهم من حقد وكراهية وحسد بأنه بشرى للمؤمنين.

ولبناء الكلمة في اللغة العربية دور كبير في إبراز دلالة المعنى؛ إذ يعتمد بناء الكلمة على الصوامت والصوائت، وكل منهما يسهم في أداء المعنى وتحديده، يقول مادح محمد عمر في كتابه (الدعاء في القرآن الكريم): "من المعلوم أن الفونيم له وظيفة مهمة في تحديد الدلالات؛ إذ إن

---

[1]- ينظر: **ما ينصرف وما لا ينصرف**، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج، تحقيق: هدى محمود قراعة، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧١، ص٢٦.

[2]- ينظر: **دلالة البنية الصرفية في السور القصار الرابية**، جلال الدين يوسف، ص٤٤.

[3]- ينظر: **لمسات بيانية في نصوص التنزيل**، فاضل صالح السامرائي، ص٨.

[4]- ينظر: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، بيروت، المكتبة العصرية، ج ٢، ص٢٩٧. الحاشية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ارتباطا وشيجا بين الفونيم والدلالات يظهر في أثناء التركيب"[1]. فالفونيم له وظيفة دلالية في الكلمة[2].

فلو نظرنا في الفونيمات التي تتكون منها لفظة (بشرى)، لوجدنا مُناسَبَة واضحة بين الفونيمات ودلالة الكلمة، فحرف الباء من الأصوات الشديدة الانفجارية[3]، ففيه دلالة على ثبات البشرى. ونجد مثل البشرى كلمة (البركة)؛ "فالباء فونيم شفوي وهو.. انفجاري، ووجوده في أول لفظة (بركة) علامة على تفجر البركة وتدفقها بقوة وثبات"[4]. يقول ابن جني في حرف الباء: "فالباء لغلظها تُشبه بصوتها خَفقة الكفّ على الأرض"[5]، فهذا يدل على شدة الباء وقوتها، ووجود الباء في أول كلمة (بشرى)، يقوي دلالتها ويزيد ثبوتها.

ويتلو الباء حرف الشين وهو حرف تفشٍّ[6]. والراء في البشرى حرف تكراري[7]، فهناك علاقة بين تكرار الراء ودلالة البشرى؛ فالراء تدل على تكرار البشرى ودوامها وعدم انقطاعها[8].

أما الحركات، فالحرف الأول محرك بالضمة، و"أثقل الحركات الضمة لأنها لا تتم إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرف الشِفَّة، وأما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة"[9].

---

[1]- **الدعاء في القرآن الكريم**، مادح محمد عمر، بيروت، دار المعرفة، ٢٠١٠، ط١، ص٦٦.

[2]- ينظر: **اللسانيات -المجال، والوظيفة، والمنهج**، سمير شريف استيتية، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨، ط٢، ص١١٩.

[3]- ينظر: **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، محمود السعران، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧، ط٢، ص١٢٨.

[4]- **الدعاء في القرآن الكريم**، مادح محمد عمر، ص٦٦.

[5]- **الخصائص**، ج٢، ص١٦٣.

[6]- ينظر: **الخصائص**، ج٢، ص١٦٣.

[7]- ينظر: **المنير في أحكام التجويد**، إعداد لجنة التلاوة في جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، الجمعية، ٢٠٠١، ص١٣٨.

[8]- ينظر: **الدعاء في القرآن الكريم**، مادح محمد عمر، ص٦٧.

[9]- **تفسير الفخر الرازي**، محمد الرازي، ج١، ص٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونجد مثل ذلك عند ابن جني؛ إذ يقول: "الذّلّ في الدابة: ضد الصعوبة، والذُّلّ للإنسان، وهو ضد العز. وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرا مما يلحق الدابة، واختاروا الضمه لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة"[1]. والابتداء بحركة قوية كالضمة يحتاج إلى جهد من المتكلم بسبب ثقلها، وهذا يضفي على الكلمة قوة في المعنى.

وهذا كله يسهم في دلالة البشرى، ويؤكد معناها، فالابتداء بحركة قوية كالضمة وبحرف الباء الانفجاري، يقوي معنى البشرى الملازمة للقرآن الكريم بدلالتها على الديمومة والثبات.

ونلاحظ في صيغة البشرى أنها غير مرتبطة بحدث معين داخل السياق الذي جاءت فيه، فهي تبشر المؤمنين ما داموا على طاعة الله، مؤمنين بالقرآن وبرسول الله وبالأنبياء.

وبالرجوع إلى السياق يجد القارئ الحديث عن حرص اليهود على الحياة الدنيا الفانية دون اهتمام بشكلها أو رفعتها، وأنّهم يتمنون البقاء. في مقابل هذا البقاء المادي الذي يطمع به اليهود وهب الله للمؤمنين بالقرآن البقاء المعنوي من خلال البُشرى التي تعني في أحد مضامينها النعيم الأخروي، لذا أراد الله سبحانه لكلمة (البُشّرى) أن تختصر في حروفها أشياء كثيرة نعرف بعضها، ونجهل بعضها الآخر.

٢. قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]

يقول الطبري في معنى الآية: "قل نزّل هذا القرآن ناسخه ومنسوخَه، روح القدس عليّ من ربي، تثبيتا للمؤمنين، وتقوية لإيمانهم، ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيمانا لإيمانهم، وهدى

---

[1] – **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح ابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، و عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، لجنة إحياء التراث، ١٩٩٤، ج٢، ص١٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لهم من الضلالة، وبُشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله، وانقادوا لأمره ونهيه، وما أنزله في آي كتابه، فأقرّوا بكل ذلك، وصدقوا به قولا وعملا"[1].

يبين الله في هذه الآية الكريمة أن القرآن أنزله جبريل عليه السلام- الموصوف بروح القدس- من عند الله تعالى، لتثبيت الذين آمنوا، وللهداية والبِشارة، بسبب انقيادهم إليه، وإذعانهم له.

والناظر في سياق الآية القرآنية الكريمة يجد أنها عدلت عن الفعل (لِيُثَبِّتَ) إلى الصيغة المصدرية (وَبُشْرَى)، فلا بد من حكمة اقتضت هذا العدول، يقول بن الأثير في العدول: "واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة"[2].

فقد آثر السياق القرآني البشرى بصيغة المصدر، وذلك لبيان ثبات حقيقة البشرى للقرآن الكريم، فالقرآن نزل لتثبيت المؤمنين على إيمانهم، وللهداية والبشرى، فعدل القرآن الكريم عن الصيغة الفعلية (ليثبت)، إلى الصيغة المصدرية (وهدى وبشرى) لإثبات صفة الهداية والبشرى للقرآن.

والعدول في السياق القرآني بالانتقال من صيغة إلى أخرى غايته الأولى شد الانتباه إلى المعدول إليه، ولفت الأنظار، لما فيه من أهمية تقتضي جلب انتباه السامع والقارئ إليه.

فالقرآن الكريم نزل أولا لتثبيت المؤمنين، والتثبيت يحتاج إلى أن يكون بالصيغة الفعلية لما فيها من دلالة التجدد، فالمؤمن مهما وصل من درجات الإيمان فإنه يحتاج إلى تثبيت متجدد كلما

---

[1]- **تفسير الطبري**، الطبري، ج١٤، ص٣٦٤.

[2]- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانه، دار مصر، القاهرة، ط٢، ج٢، ص١٨٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ضعف إيمانه أو قل، لذا آثر القرآن الكريم أن يكون التثبيت بالصيغة الفعلية، لحاجة المؤمنين إلى تقوية إيمانهم وتثبيتهم على العبادة من الله –عز وجل–.

أما البشرى فهي أمر متحقّق وثابت بنزول القرآن وهي جزء لا يتجزأ من وظيفة القرآن الكريم، جزاء لمن آمن بالله تعالى، وهي أمر ثابت سواء أكان في الدنيا أو في الآخرة.

فالله تعالى يُعظم ما نزل به القرآن من بشارات، ويبين لنا أن الدين يسر، فهو بشرى للمؤمنين والمسلمين والمحسنين قبل أن يكون إنذارا لهم.

٣. قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤]

جميع ألفاظ البِشارة مأخوذة من أصل واحد وهو البشرة؛ "فإذا جئت للإنسان بأمر سارٍّ تجد أثر هذا السرور على أساريره، وإن جئت للإنسان بخبر سيئ تجد الكدر وقد ظهر على بشرته، فالبشرة هي أول منفعل بالأحداث السارة أو المؤلمة"[1].

يَعدُ الله المؤمنين بالبشرى في الدنيا والآخرة تسرية عنهم، فيعدهم بالخيرات الكثيرة في الدنيا من محبة الناس، والرؤيا الصالحة وتوفيق الله لهم، ولهم البشرى في الآخرة من دخولهم الجنات، وبياض الوجوه، وتَسَلُّمهم صحفهم باليمين، ففي الآية السابقة نهى الله المؤمنين عن الحزن والخوف ما داموا على طاعة الله، فإن الله معهم في الدنيا والآخرة.

يقول الشعراوي: "البشرى إذن هي الرؤيا الصالحة، أو هي المقدمات التي تُشْعر خَلْق الله بهم فتتجه قلوب الناس إلى هؤلاء الأولياء، وقد تجد واحداً أحبه الله تعالى في السماء، فيقول الله – سبحانه وتعالى– لجبريل –عليه السلام–: «إني أحب فلاناً فأحبَّهُ. قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي

---

[1]– تفسير الشعراوي، ج١٠، ص ٦٠٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جبريل في السماء فيقول: إن الله يَحب فلاناً فأحِبُوه، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يُوضع له القبول في الأرض» "[1].

وكل هذه المعاني تقع تحت قوله تعالى: (لهم البشرى)، ففيها تأكيدان على عظم البِشارة، فالأول؛ أن البشرى جاءت معرفة بـ (أل) الجنسية يقول ابن عاشور: "وتعريف (البشرى) تعريف الجنس فهو صادق ببشارات كثيرة"[2]، والثاني: أنها جاءت بالصيغة الاسمية المصدرية، والاسم يدل على التوكيد، والمصدر يدل على اتساع الأمر.

والجنسية هنا يتولد منها معنى لطيف لأنها تشير إلى استغراق البشرى وكمالها، فهي بشارات لا تنتهي وعدها الله -تبارك وتعالى- لعباده المؤمنين[3].

٤. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]

يَعِدُ الله تعالى من اجتنب عبادة الأصنام والأوثان، ورجع إليه، وتاب من المعاصي بالبشرى التي لا يمكن لأحد أن يحدد مقدارها[4].

يقول السعدي: "﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ التي لا يقادر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون من خلالها، أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة"[5].

---

[1]- المصدر السابق، ج١٠، ص٦٠٣٧.

[2]- **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج١١، ص٢١٨.

[3]- ينظر: **خصائص التراكيب**، محمد محمد أبو موسى، ص٢٤٧.

[4]- ينظر: **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، ص٧٢١.

[5]- ينظر: المصدر السابق، ص٧٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جاء نَظْمُ جملة البشرى بطريقة الحصر ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾، تنبيهاً على أنّ هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات جديرون بالبشرى التامة غير المنقطعة، يقول الرازي: "واعلم أن قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ فيه أنواع من التأكيدات أحدها: أنه يفيد الحصر فقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ أي لهم لا لغيرهم،... وثانيها: أن الألف واللام في لفظ البشرى مفيد للماهية فيفيد أن هذه الماهية بتمامها لهؤلاء، ولم يبق منها نصيب لغيرهم، وثالثها: أن لا فرق بين الإخبار وبين البِشارة، فالبِشارة هي الخبر الأول بحصول الخيرات...، فثبت أن قوله: لَهُمُ الْبُشْرى يدل على نهاية الكمال والسعادة من هذه الوجوه والله أعلم"[1].

وكل هذه البشارات تتحقق إذا ابتعدوا عن عبادة غير الله تعالى وأنابوا بالكامل إلى الله تعالى، فمن قام بذلك فإن الله يبشره ببشارة في غاية الكمال والوصف، ويدلنا على ذلك مجيء لفظة البشرى بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات والاستقرار، وتعريفها بالألف واللام، وقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ حُصِرت البشرى بهؤلاء المتصفين بالصفات المشار إليها في الآية الكريمة.

وما يدلنا على عظم البِشارة وتفخيمها أن الله تعالى بعد هذه الآية وبعد هذا الوصف الكامل، يكرر البشرى مرة أخرى بصيغة الأمر، ليقول أن من قام بهذه الأعمال وجبت البشرى له.

يقول نزار عطا الله في رسالته (البشرى في القرآن الكريم): "ثم كرر البشرى لهم على صورة الأمر فقال: ﴿فَبَشِّرْ﴾، وأقام الظاهر مقام المضمر ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ولم يقل فبشرهم، تشريفا لهم بإضافتهم إليه سبحانه، ورفعا لمنزلتهم بوصفهم بالعبودية لله دون غيره من المعبودات، وتنبيها على أن هذه البشرى غير مقصورة على ما سبق، بل يدخل فيها من نعت باستماع القول واتباع أحسنه"[2].

---

[1]- **تفسير الفخر الرازي**، الرازي، ج٢٦، ٢٦٠.

[2]- **البشرى في القرآن الكريم**، نزار عطا الله، ص١٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥. قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩]

بعد أن تحدثت الآيات السابقة لهذه الآية عن محاولة إخوة يوسف من التخلص منه –عليه السلام–، وأجمعوا أمرهم أن يلقوه في البئر، جاء الحديث في هذه الآية عن نجاة سيدنا يوسف من هذه المحنة المظلمة، بمجيء سيارة في طريق البئر، فأخرجوه من البئر وباعوه بثمن قليل.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾، تتحدث هذه الآية عن جماعة اعتادوا على السير والتنقل، فأرسلوا واردهم الذي يأتيهم بالمياه دائما، فيدلو دلوه في البئر الذي فيه يوسف، فتعلق يوسف بالحبل، فرأى الرجل يوسف فقال متعجبا: ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾[١].

اختلفت القراءات في كلمة (يَا بُشْرَى)؛ "فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: (يا بشرايَ) بفتح الياء وإثبات الألف. وروى ورش عن نافع: (يا بشرايْ)،... بسكون الياء،... وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: (يا بشرى) بألف بغير ياء. وعاصم بفتح الراء وحمزة والكسائي بميلانها"[٢].

ونداء البشرى في الآية الكريمة ليس على الحقيقة، بل هو مجاز غرضه تعظيم أمر البشرى، والمبالغة في إعلان الفرح بهذه البشرى، وكأنه يطلب من البشرى القدوم. ومعنى النداء هنا التنبيه ولفت الأنظار[٣].

يقول محمد رشيد رضا: "ونداء البشرى معناه أن هذا وقتها وموجَبِها فقد آن لها أن تحضر، ومثله قولهم: يا أسفى ويا أسفي، ويا حسرتا ويا حسرتي، إذا وقع ما هو سبب لذلك"[٤].

---

[١]– ينظر: **تفسير الشعراوي**، ج١١، ص: ٦٨٩٣.

[٢]– **الحجة للقراء السبعة**، أبو علي الفارسي، ج٤، ص٤١٠.

[٣]– **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ج٩، ص١٦٧.

[٤]– **تفسير القرآن الحكيم**، محمد رشيد رضا، ج١٢، ٢٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله تعالى: ﴿يَا بُشْرَى﴾، أكثر تأكيدا من قولك: بشرته، أو هذه بشرى، وغير ذلك. فالنداء يأتي للمبالغة والتعظيم، وتفخيم الأمر، وقد يرجع ذلك إلى جمال سيدنا يوسف، فالوارد رأى غلاما في غاية الحسن والجمال، وهذا مدعاة لتعجبه، واستغرابه من أن يجد مثل ذلك في البئر.

يقول ابن عاشور: "ونداء البشرى مجاز، لأن البشرى لا تُنادى، ولكنها شبهت بالعاقل الغائب الذي احتيج إليه فينادى كأنه يقال له: هذا آن حضورك. ومنه: يا حسرتا، ويا عجبا، فهي مكنية وحرف النداء تخييل أو تبعية. والمعنى: أنه فرح وابتهج بالعثور على غلام"[1].

قال الزجاج: "ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة. إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت: اعجبوا ويا أيها العجب هذا من حينك. وكذلك إذا قال: يا بشراي فكأنه قال: أبشروا، وكأنه قال يا أيتها البشرى هذا إبانك وأوانك"[2].

ففي التعجب بالنداء بلاغة تبينه لنا سياق الآية الكريمة، حيث يبين لنا أهمية المنادى وينبه الجماعة التي مع الوارد إلى أهمية البِشارة التي وجدها في البئر، وفي اسم الإشارة تعظيم للمشار إليه، وذلك لما وجده في جمال يوسف -عليه السلام-. وفي اختيار الصيغة الاسمية زيادة في تأكيد أهمية البشرى وتعظيم أمرها. فالنَظْمُ القرآني له بلاغته في التعبير وسرد الأحداث واختيار الألفاظ ليشد القارئ والسامع، والتي تتجلى فيها عظمة الله تعالى.

---

[1]- **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج١٢، ص٢٤١.

[2]- **معاني القرآن وإعرابه**، الزجاج، ج٣، ص٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]

اختلف المُفسّرون بتعلّق مضمون هذه الآية، فمنهم من جعلها في غزوة بدر، ومنهم من قال بتعلّقها بغزوة أحد[١]، ورأى محمد رشيد رضا أنّ الآية ليست وعداً من الله بالإمداد بالملائكة، وإنّما هي إخبار عمّا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في غزوة أحد[٢]، وبالتالي فالضمير في (جَعَلَهُ) لا يعود على الإمداد كما أشار كثيرٌ من المفسرين[٣]، وإنّما يعود إلى قوله صلى الله عليه وسلم الذي يبيّن شروط الوعد؛ وهي الصّبر والتقوى وإتيان الأعداء من فورهم[٤]، وهو رأي جدير بالقبول ويتلاءم مع عدم حدوث الوعد بسبب إخلالهم بالشروط التي أخبرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد.

وقد قال سبحانه في الآيات السابقة: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، فأخّر الله قول الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن التذكير بنصر بدر﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: ١٢٣]؛ مما يدلّ على أنّ الآية كُلها متعلقة ببدر على سبيل التذكير والتمهيد لغزوة أحد، فالنبي صلّى الله عليه وسلّم حين أخبرهم بالإمداد بالملائكة كان خبره يقيناً، ومعلوم أنّه لم يحصُل فيها إمدادٌ. وكيف يرسل الله جُنده دون أن ينتصروا، فترى الباحثة، والله أعلم، أنه من باب التذكير بنصر بدر، وأنّ وعد البشرى متجدد يمكن أن يحصل في إحدى الغزوات إن تمت شروط النّصر التي بينها لهم الرسول صلى الله عليه وسلّم.

---

[١]- ينظر: **تفسير القران العظيم** ، ابن كثير، ج٢، ص١١٢-١١٣.

[٢]- ينظر: **تفسير القران الحكيم** ، محمد رشيد رضا، ج٤، ص١١٢.

[٣]- ينظر: المصدر السابق، ج٤، ص١١٢. وينظر: **تفسير البحر المحيط**، أبو حيّان، ج٣، ص٥٤.

[٤]- ينظر: **تفسير القران الحكيم** ، محمد رشيد رضا، ج٤، ص ١١٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

تبين هذه الآية أن النصر من عند الله، ليس بوجود الملائكة وقتالهم، فالله قادر على نصرهم دون إمدادهم، فإمدادهم بالملائكة لم يكن سوى بشرى لهم في معركة بدر، وزيادة الطمأنينة في قلوبهم، وليبين الله لهم أنه معهم، من خلال هذا الأمر المادي المشاهد بالأعين، إلا أن النصر من عند الله. وقوله: (لكم) زيادة في تقرير هذه البشرى ومواساتهم.

ويؤكد ابن عباس أن بعث الملائكة كان لتبشيرهم بالنصر ولطمأنة قلوبهم بقوله: "(إن الملائكة لم يباشروا القتال إلا يوم بدر، فأما ما سوى ذلك فإنها تحضر الصف وتكثّره، ولا تقاتل). وقال بعض المفسرين: إن الملائكة لم تقاتل أصلا، ولم يُبعثوا إلا للبشارة، فلو بعثوا للقتال لكان ملك واحد يكفيهم، كما فعل جبريل –عليه السلام– يوم لوط"[1]. فكثرة الملائكة هي بشارة وزيادة في مواساة المؤمنين الذين وقفوا أمام عدد هائل من الأعداء، فليس النصر بالكثرة، فالله قادر على نصرهم دون قتال.

من خلال هذه المعاني نجد أن السياق هو الأساس في الوصول إلى المعنى الحقيقي؛ يقول مصطفى محمد خضر في كتابه (الألفاظ والدلالة): "وهكذا يتضح لنا أهمية السياق اللغوي الذي يُبرز لنا الدلالات المختلفة للكلمة الواحدة، وذلك من خلال علاقتها بالجملة السابقة، أو الجملة اللاحقة، أو في الجملة نفسها"[2].

ومما يسترعي الانتباه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾. قال أبو حيّان: "إلا بُشرى: مستثنى من المفعول له، أي ما جعله الله لشيء إلا بشرى لكم فهو استثناء فَرُغَ

---

[1]– **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الطبراني، تحقيق: هشام البدراني، الأردن، دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٨، ج٢، ص ١٢٢–١٢٣

[2]– **الألفاظ والدلالة** (في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لفيروز آبادي)، مصطفى محمد عبد المجيد خضر، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، ٢٠١٠، ص ١٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

له العامل"[1]. فالكلام في الآية السابقة غير تام، فلم يذكر الله -عز وجل- المستثنى منه، ويسمى استثناء مفرغاً، وشرطه أن يكون الكلام منفياً[2]؛ يقول الإمام أبو محمد بن هشام الأنصاري في الاستثناءُ المفرَّغ: "إنما شرطوا في الاستثناء المفرغ أن يكون مسبوقا بنفي أو بشبه نفي، ومنعوا وقوعه مع الكلام الموجب لأن الكلام... لو كان موجبا لكان المعنى الذي يدل عليه مجموع الكلام محالا في مجرى العادة، ألا ترى أنك لو قلت: "ضربت إلا زيدا"، لكان مؤدى هذه العبارة أنك ضربت جميع الناس إلا زيدا، وهذا معنى غير مستقيم في مجرى العادة، أما لو قلت "ما ضربت إلا زيدا" فإن المعنى الذي تدل عليه هذه العبارة أنك لم تضرب أحدا من الناس إلا زيدا"[3].

يقول أبو السعود: "وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ استثناءٌ مفرَّغٌ...، وتلوينُ الخطابِ لتشريف المؤمنين، وللإيذان بأنهم المحتاجون إلى البِشارة، وتسكينِ القلوب بتوفيق الأسبابِ الظاهرةِ، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غنيٌ عنه بما له من التأييد الروحاني؛ أي: وما جعل إمدادَكم بإنزال الملائكةِ عِياناً لشيء من الأشياء إلا للبشرى لكم بأنكم تُنصَرون"[4].

فهذا زيادة في تقرير ربط الإمداد بالبِشارة، فلم يكن الإمداد لشيء من الأشياء، إلا لتبشير المؤمنين، ولزيادة الطمأنينة في قلوبهم. يقول أبو السعود: "﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ استثناءٌ من أعمّ المفاعيلِ؛ أي وما جعله الله تعالى شيئاً من الأشياء إلا بشارةً لكم"[5].

---

[1]- **البحر المحيط**، أبو حيان، ج٣، ص٥٤.

[2]- ينظر: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، ج٢، ص٢٥٣.

[3]- ينظر: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، ج٢، ص٢٥٣.

[4]- **تفسير أبي السعود** -إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم-، أبو السعود، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ج١، ص٥٧٠.

[5]- المصدر السابق، ج١، ص٥٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حيث جاء الاستثناء هنا بـ (ما و إلاّ)، وهذا الأسلوب في البلاغة يكون لأمر ينكره المخاطب ويشُكُّ فيه[1]، فما هو وجه الإنكار والشك هنا في الآية، والكلام موجه إلى الفئة المؤمنة المجاهدة في سبيل الله. أشار أبو السعود إلى شيء من نكتة هذا القصر، فرأى بأنّ الملائكة لم تشارك في القتال، وإنّما وجودها من أجل الطمأنينة وتكثيف السواد[2].

وترى الباحثة، والله أعلم، أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يقطع طريق الشك عليهم في أن وجود هذه الملائكة لا يحمل عنهم مسؤولية القتال والجهاد، بل هي مسؤوليتهم وتكليفهم الذي كلفهم الله به، وما عليهم إلّا أن يُطيعوا، وكان إرسال الملائكة من أجل البُشرى بالنصر، والطمأنينة للقلوب الوجِلَة الخائفة في أول معركة بين القلّة المؤمنة والكَثرة الكافرة. ولا يعني ذلك أن ننفي قتال الملائكة أو نُثبته، فلا يملك أحدنا دليلاً مادياً ينفي به هذا القتال، ولكن القصد هنا إشعارٌ بأن عليهم أن يفعلوا أقصى ما بوسعهم مع اليقين في أعلى درجاته، فتكون لهم البُشرى والطمأنينة بإمداد الله –عز وجل–.

وقد أشار أبو السعود إلى أنّ القصر قصر حقيقي؛ أي أن الإمداد فقط من أجل البشرى والطمأنينة[3]، ولكنّ الباحثة تميل إلى كونه قصراً إضافيّاً؛ لأنّ هناك فوائد كثيرة تحصل بالإمداد لا تقتصر على مجرد البشرى والطمأنينة، وإنّما هما الوجهان البارزان لهذا الإمداد.

يتحدث مهدي عناد عن قيمة أداة الاستثناء (إلا) من الناحية الصوتية: "وقد جاء الاستثناء كما ترى، بالأداة (إلا)، التي يعدُّها العلماء أمَّ بابِ الاستثناء،...، وهذه الأداةُ أهلٌ لذلك؛ فدلالة الاستثناء فيها، باعتقادي، أقوى ما يمكن؛ لكونها من جهة، تتمتع بوضوح سمعيٍّ متميّز؛ يعود إلى

---

[1]– ينظر: **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٢١٨.

[2]– ينظر: **تفسير أبي السعود**، ص٥٧٠.

[3]– ينظر: المصدر السابق، ص٥٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أصواتِها العاليةِ الوضوح: الهمزة، واللامين، والحركتين: الكسرة القصيرة، والفتحة الطويلة، ومن جهة أخرى، تكتسبُ هذه الأداة من صوت اللام الغالب عليها طابعه الموسيقي، الذي يوحي بدلالة الاستثناء؛ فانحراف اللسان في أثناء النطق، مع هذا الصوت وحدَه، خروجٌ على وضعه المستقيم، الذي يتّخذُه من جميع الأصوات الأخرى، كخروج المستثنى من حكم المستثنى منه"[1].

يظهر هنا أن الأمر كله سُخّر من أجل البشرى، إذ يوحي القصر هنا بأنّ البشرى مصيرية للمخاطبين وأنها ذات شأن، وهذه المصيرية تلتئم مع السياق تماماً، السياق الذي يتحدث في شأن بدر على سبيل التذكير.

وقد جاءت البشرى في هذا الموضوع بصورة المصدر، والمصدر يدل على الاسمية، والاسمية تدلّ على الثبوت، وهذا ممّا يناسب سياق الآيات التي تدور حول تثبيت المجاهدين في سبيل الله، فدور البشرى هنا في هذه الهيئة الصرفيّة تثبيت لهم في ثبوتها بأنفسهم، كما أنّ المصدر في اللغة لا ينفكّ عن الفعل والتأثر بصفاته[2]، فيدلّ من جهة أخرى على تجدّد البشرى كُلمّا سَمح المقام وتوافرت الشروط.

وتلحظ الباحثة أن الله عز وجل قدّم البُشرى في الآية الكريمة على الطّمأنينة؛ وفي ذلك حكمة وجمالية نستطيع أن نَلْتَمِسُها من خلال النظر في معنى البشرى والطمأنينة، فالطمأنينة ناتجة عن البشرى التي تَبعث السرور والراحة في النفس، فتنشأ الطمأنينة بالتبعية[3].

---

[1]- **التحليل الصوتي للنص** -بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجا-، مهدي عناد أحمد قبها، رسالة ماجستير، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠١١، ص١٠٨.

[2]- ينظر: **التطفل على الأفعال في العمل**، فاطمة حسن عبد الرحيم، بحث منشور، جامعة الملك عبد العزيز، منشور على الموقع www.etihadah.edu.sa.

[3]- ينظر: **خصائص التراكيب**، محمد محمد أبو موسى، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠٠٩، ط٨، ص١١٧. وينظر: **الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير**، محمد السيد عبد الرزاق، سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بحث منشور على الموقع الالكتروني www.nawafithna.net/top.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويلوح للباحثة سبب آخر هو: أن البشرى ذات أثر في البشرة، فهي أثر خارجي، والطمأنينة أثرها في القلب، فقدم الظاهر على الباطن وفق الترتيب المنطقي، ولأنّ ظاهر الإنسان هو الذي يفسرّ ويكشف عن باطنه.

وتجد الباحثة أن الآية عدلت في العطف عن الاسم (بشرى) إلى الفعل (لتطمئن). فلا بد من دلالة اقتضت هذا العدول، قال الإمام الرازي في هذا الشأن: "في ذكر الإمداد مطلوبان، أحدهما: إدخال السرور في قلوبهم، وهو المراد بقوله: ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ والثاني: حصول الطمأنينة بالنصر، فلا تجبنوا، وهذا هو المقصود الأصلي، ففرّقَ بين هاتين العبارتين تنبيها على حصول التفاوت بين الأمرين، فعطف الفعل على الاسم"[1].

ويبدو للباحثة أن سبب العدول يكمن في طبيعة البشرى والطمأنينة، فالبشرى لا تتغير وتبقى حتّى بعد انقضاء وقتها (أي وقت التبشير)، ولهذا اختيرت لها الهيئة الاسمية؛ للإشارة بأنّ بشرى الله لهم بالإمداد مستمرة ما دامت الشروط متوفرة، ولكنّ الطمأنينة متعلقة بالقلب، وهو كثير التقلّب بين لحظة وأخرى، فورد في شأنها الفعل إيذاناً بتجدّدها وحدوثها كلّما لزم الأمر واقتضى السياق، إضافة إلى ما ذهبتُ إليه سابقاً من أنّ البشرى متعلّقة بظاهر الإنسان، والطمأنينة متعلقة بداخله، فجاءت المغايرة بين التعبيرين لبيان الاختلاف بين الحالين.

ورأى أبو حيان أن سبب دخول لام التعليل على الفعل (ولتطمئن) هو فوات شرط اتّحاد الفاعل؛ لأنّ فاعل (بُشرى) هو الله، وفاعل (تطمئن) هو قلوبكم[2].

وعند الرجوع إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠]، نجد تشابها بينها وبين آية آل عمران السابقة.

---

[1]- **البحر المحيط**، أبو حيان، ج٣، ص٥٥.

[2]- ينظر: المصدر السابق، ج٣، ص٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وورد في آية آل عمران (قلوبكم به)، فقدّم القلوب على حرف الجر، بينما في آية الأنفال قدّم حرف الجر على القلوب، وقد أشار محمد رشيد رضا إلى نكتة هذا التقديم والتأخير، فرأى أنّ آية الأنفال واردة في شأن معركة بدر، بينما هنا وردت تمهيداً لمعركة أحد، والفرق بين السياقين أن المؤمنين يوم بدر لم يكن لهم ما تطمئن به قلوبهم غير وعد الله وبشارته على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلم، فكان بهذا الوعد اطمئنان قلوبهم لا بسواه، فلذلك قدّم (به) على (قلوبكم)، وأمّا في يوم أحد فلم تكن الحال كذلك، إذ لم تعد البِشارة مما يطمئنّ به القلب فقط، فقال: ﴿إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ﴾ من غير قصر؛ حيث كان بعضهم يوم أحد في أول الأمر على مقربة من الافتتان، ولذلك همّت طائفتان منهم أن تفشلا، ثم إنّهم لما تثبتوا وباشروا القتال، انتصروا، وهزموا المشركين الذين هم أكثر من ثلثيهم، فكان بعد ذلك أن خرج بعضهم عن التقوى، وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم وطمعوا في الغنيمة، وفشلوا وتنازعوا في الأمر، فضعف استعداد أرواحهم، فلم ترتق إلى أهلية الاستمداد من أرواح الملائكة، ولم يكن لهم منهم مدد، لأنّ الإمداد لا يكون إلاّ حسب الاستعداد[1].

وأشار السّامرائي إلى نكتة أخرى تحت هذا الباب فقال: "ففي آل عمران ذكر معركة بدر تمهيداً لذكر موقعة أُحد، وما أصابهم فيها من قرح وحزن، والمقام مقام مسح على القلوب وطمأنة لها،... فذكر أنّ البشرى (لهم)، وقدّم (قلوبهم) على الإمداد بالملائكة، فقال: ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ كل ذلك من قبيل المواساة والتبشير والطمأنة، ولمّا لم يكن المقام في الأنفال كذلك، وإنما المقام ذكر موقعة بدر وانتصارهم فيها،... أنه لما كان المقام في الأنفال مقام الانتصار، وإبراز دور الإمداد الرباني قدم (به) على القلوب"[2].

---

[1]- ينظر: **تفسير القرآن الحكيم**، محمد رشيد رضا، ج٤، ص١١٥-١١٦.

[2]- **التعبير القرآني**، فاضل صالح السامرائي، عمّان، دار عمّار، ٢٠٠٦، ط٤، ص٧١- ٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وورد في سورة آل عمران ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾، وفي الأنفال ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾، وقد علّل بعضهم ذلك بأنّ آية الأنفال تقدمها لفظ (لكم) وهو ما يغني من إعادتها بلفظها ومعناها، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الانفال:٩]، فأغنت (لكم) الأولى بلفظها ومعناها عن الثانية[١].

وورد تعليل آخر بأنّ آية [آل عمران: ١٢٦] تقدمها ذكر الطائفتين المؤمنة والكافرة، وخصّ الله الطائفة المؤمنة بالبِشارة، وأنّها لأولياء الله تعالى، فقال: ﴿بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾.

أمّا آية الأنفال فالحديث فيها خاص بالمؤمنين فلم يذكر القيد[٢]. وذكر ابن عاشور بأن "آية آل عمران سيقت مساق الامتنان والتذكير بنعمة النصر في حين القلة والضعف، فكان تقييد (بشرى) بأنها لأجلهم زيادة في المنة؛ أي: جعل الله ذلك بشرى لأجلكم؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١] وأما آية الأنفال فهي مسوقة مساق العتاب على كراهية الخروج إلى بدر في أول الأمر، وعلى اختيار أن تكون الطائفة التي تلاقيهم غير ذات الشوكة، فجرّد (بشرى) عن أن يعلق به (لكم)؛ إذ كانت البشرى للنبي صلى الله عليه وسلم ومن لم يترددوا من المسلمين"[٣].

إضافة إلى تعليل السامرائي بأن المقام مقام مسح على القلوب، فذُكرت (لكم) في آية آل عمران، ولم تُذكَر في آية الأنفال مقام الحديث عن النصر ودور الإمداد الرباني فيه[٤].

١- ينظر: **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية**، صالح بن عبد الله الشثري، المدينة المنورة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف-مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ، ص٣٧٠.

٢- ينظر: المصدر السابق، ص٣٧١.

٣- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤، ج٩، ص٢٧٦-٢٧٧.

٤- ينظر: **التعبير القرآني**، فاضل صالح السامرائي ، ص ٧٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ثانيا: بُشْرًا

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

لما أقام الله تعالى الدلالة في الآيات السابقة لهذه الآية على وجوده وقدرته، ورغّب في التضرّع له خوفاً وطمعاً، ذكر في هذه الآية الكريم صنفا من أصناف رحمته، وهو إرساله الرياح بشرى لعباده بالخيرات.

الناظر في سياق الآية الكريمة يجد أن الله –عز وجل– أسند التبشير إلى نفسه بالضمير (هو)، فالله يؤكد لنا أن الكون كله يسير بإذنه، وهو المتصرف في كل شيء، فهو يرد على المشركين الذين يسندون أفعال نزول المطر إلى المبني للمجهول، يقول ابن عاشور في ذلك: "وهو الذي يرسل الرياح تقريع المشركين وتفنيد إشراكهم،...لأن الموصول دل على أن الصلة معلومة الانتساب للموصول؛ لأن المشركين يعلمون أن للرياح مُصرِّفا، وأن للمطر مُنَزِّلاً، غير أنهم يذهلون أو يتذاهلون عن تعيين ذلك الفاعل؛ ولذلك يجيئون في الكلام بأفعال نزول المطر مبنية إلى المجهول غالبا، فيقولون: مُطِرنا بنوء الثريا، ويقولون: غثنا ما شئنا؛ مبنيا للمجهول أي أغثنا، فأخبر الله تعالى بأن فاعل تلك الأفعال هو الله، وذلك بإسناد هذا الموصول إلى ضمير الجلالة في قوله: وهو الذي يرسل الرياح أي الذي علمتم أنه يرسل الرياح وينزل الماء، هو الله تعالى"[1].

وقد استخدم القرآن الصيغة المصدرية لوصف بشرى المطر بقوله: (بشرا)؛ للدلالة على اتساع الخيرات التي تأتي بها الرياح؛ فهي تدل على رحمة الله تعالى بالناس، ولم تأت البشرى هنا بالصيغة الفعلية؛ لأن الاسم يدل على تأكيد الصفة وتمامها، وثبوتها واستقرارها.

وفي "وصف الرياح بالبشرى تنويه بالأثر العظيم الذي تحدثه هذه الرياح على وجوه القوم حينما تهب عليهم وتتهلل هذه الوجوه، وتطير القلوب فرحا بالمطر رحمة من الله تعالى، وهذا ما

---

[1]– التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٨، ص١٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نلحظه في حياتنا، فعندما يتأخر المطر، أو يصاب الناس بالقحط، نتيجة انحباس المطر، نلحظ أثر ذلك باديا على وجوه الناس، حيث تنقبض وجوههم وتسود، من كثرة الحزن والخوف، بينما تتهلل هذه الوجوه حينما تهب رياح الرحمة، تبشر القوم بقدوم المطر"[1].

ووصف الله الرياح كذلك بالبشرى في سورة النمل والفرقان، بقوله: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [النمل: ٦٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، فمن عظيم رحمة الله تعالى أن أرسل الرياح تحمل البشرى العظيمة للعباد، وفي هذا إشارة إلى قدرة الله تعالى وعظمته، وكرمه على العباد.

ثالثا: بُشْرَاكُم

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

اختلف أهل التفسير في المراد بالنور، فأشار بعضهم إلى أنه النور الحقيقي؛ أي الضوء وهذا هو قول الجمهور، وهم متفاوتون في النور، وذلك على قدر أعمالهم[2].

ونفى الطبري حقيقة النور بقوله: "حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾: كتبهم، يقول الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾، وأما نورهم فهداهم"[3]، وسبب ذلك كما يرى أن الله خص السعي بين

---

[1]- **البشرى في القرآن الكريم**، نزار عطا الله، ص١٥٢.

[2]- ينظر: **تفسير البحر المحيط**، ص٢٢٠، ج٨.

[3]- **تفسير الطبري**، محمد بن جرير الطبري، ج٢٢، ص٣٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأيدي والأيمان، ولم يذكر الشمائل، فالأصل في ضياء المؤمن أن يضيء جميع ما حوله[1].

ترى الباحثة أن الأولى بالصحة هو أن هذا النور حقيقة، وخص الأيمان تشريفا لها، جاء في التحرير والتنوير قوله: "ووجه تخصيص النور بالجهة الأمام وبالأيمان كل ذلك في سورة التحريم. والباء في وبأيمانهم بمعنى (عن)، واقتصر على ذكر الأيمان تشريفا لها وهو من الاكتفاء، أي وبجانبيهم"[2].

وتجد الباحثة أنّ الفعل ﴿يَسْعَى﴾ قد تقدم هنا على النور، بينما نجده قد تأخر في آية التحريم، قال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحريم: ٨] [3]، يقول الغرناطي في ملاك التأويل: "ووجه ذلك –والله أعلم– أن قوله في سورة التحريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يفهم من حيث المعية قرب المنزلة وعلو الحال وتقدم ثبوته، فناسب ذلك ورود الجملة الاسمية هنا لما تقتضيه من الثبات وتقدمه واستحكامه.

وأما قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فبشارة للمؤمنين، ولم يأت هنا كونهم مع نبيهم، فلم يتحصل مما يفهم تمكن المنزلة وثبوتها ما يحصل في آية التحريم. وإنما هذه بشارة يناسبها التجدد والحدوث، فناسب ذلك الفعل بما يعطيه من هذا المعنى، فقيل: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، ليفهم التكرر وحدوث الشيء بعد الشيء فورد كل ما يجب ويناسب، والله أعلم"[4].

---

[1]– ينظر: المصدر السابق، ج٢٢، ص٣٩٨.

[2]– **تفسير التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج٢٧، ص٣٨٠.

[3]– ينظر: **البشرى في القرآن الكريم دراسة موضوعية**، نزار عطا الله أحمد صالح، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٢، ص١٢٣.

[4]– **ملاك التأويل**، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: محمود كامل أحمد، بيروت، دار النهضة العربية، ج٢، ص٨٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله جلَّ وعلا: ﴿يَسْعَى﴾، فهذا استعارة، ويوضح ابن عاشور نكتة هذا السعي في هذه الآية بقوله: "والمعنى: يسعى نورهم حين يسعون، فحذف ذلك؛ لأن النور إنما يسعى إذا سعى صاحبه، وإلا لانفصل عنه وتركه.."[1].

وتجد الباحثة أنّ كلمات الآية جاءت وفق الترتيب المناسب، حيث بدأت الآية الكريمة بالحديث عن النور الذي يضيء ما حول المؤمنين، ثم خاطبت المؤمنين بالبشرى، وهي أهم وأعظم من النور الذي يلف المؤمنين، وما يدلنا على هذه الأهمية شيئان: الأول: مجيء البشرى بصيغة الخطاب المباشر الموجه للمؤمنين، ثانيا: عدول الآية عن الصيغة الفعلية إلى الصيغة الاسمية المصدرية، التي تدل على الثبوت واللزوم.

وقد جاءت كلمة ﴿بُشْرَاكُمُ﴾ متصلة بضمير المخاطبين، ليبين لهم أن البشرى قريبة، ويدل على ذلك أكثر قوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ وكأن الأمر يحدث الآن، وفي ذلك ترغيب للمؤمنين. وفي الانتقال من ضمير الغيبة إلى الخطاب إكرام للمخاطبين، وعكس ذلك وهو الانتقال من الخطاب إلى الغيبة فيه مقت وتبغيض[2]. "وقال: ﴿الْيَوْمَ﴾ للدلالة على قرب البشرى، وأنها ليست من الوعد البعيد الوقوع، والبشرى كلما كانت أقرب كانت أحب وأدعى إلى المسرة"[3].

ولكل ضمير في اللغة العربية رتبته بحسب قوته الدلالية، فضمير الخطاب متقدم من حيث الدلالة على ضمير الغائب، ويتقدم ضمير المتكلم عليهما[4]، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، "فقد استعمل الخالق تعالى ضمير الخطاب (كم) في

---

[1]- **تفسير التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص٣٨٠.

[2]- ينظر: **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، حسن طبل، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٨، ص١٠٦.

[3]- المصدر السابق، ص١٠٦.

[4]- ينظر: **التوجيه المعنوي للبنية الصرفية في القرآن الكريم**، لقمان مصطفى سعيد، بحث منشور، مجلة التربية والعلم – المجلد (17)، العدد (٢)، لسنة ٢٠١٠، ص١٨٦
http://ar.islamway.net/book/7653?ref=rss2

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ مع فعل الإحسان، في حين جاء بضمير الغيبة (ها) في ﴿فَلَهَا﴾ مع فعل الإساءة؛ لأن الحسنات مقربات إلى الله تعالى، ولذلك استعمل القرآن الكريم معها ضمير الخطاب (كم) الذي يتم بين متحاورين قريبين. فهنا فعل الإحسان كان السبب للتقرب من الله جل وعلا، فاستلزم استعمال ضمير الخطاب الدال على القرب، وضمير الخطاب...، يختصر مرحلة من مراحل العلاقة بين الدال والمدلول"[1]. فالضمير(كم) يقرب الحديث إلى المخاطبين، ويعظم من منزلة البِشارة التي وعد بها المتقون، وكأن هذه البِشارة ليس لها نهاية، فيها من المبالغة والتعظيم ما يريح نفس المخاطبين، ويهدئ من روعهم في ذلك اليوم العصيب، فيكفيهم في ذلك الموقف البِشارة التي تنتظرهم، فالله تعالى أراد تقريب الحديث إلى المخاطبين، وجلب الانتباه إلى هذه البِشارة العظيمة.

تستطيع الباحثة أن تلتمس أهمية البشرى من خلال التأكيدات المتعددة التي تجدها في سياق الآية الكريمة، فتجده أولا ينتقل انتقالا مفاجئا إلى ضمير المخاطبين، وفي ذلك لفت للأنظار، ثم أكد الله عز وجل بقرب البشرى بقوله: ﴿الْيَوْمَ﴾؛ ليخبر الله المؤمنين أن هذه البشرى قريبة وليست بالبعيد، وأنهى البِشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؛ إذ يدل اسم الإشارة على عظم الخبر وقوته، يقول صاحب التحرير والتنوير: "وجملة "ذلك هو الفوز العظيم" يحتمل أن يكون من بقية الكلام المحكي بالقول المبشر به، ويحتمل أن يكون من الحكاية التي حكيت في القرآن، وعلى الاحتمالين، فالجملة تذييل تدل على مجموع محاسن ما وقعت به البشرى. واسم الإشارة للتعظيم والتنبيه، وضمير الفصل لتقوية الخبر"[2]. وهذا كله يبين لنا أهمية هذه البِشارة الواردة في حق المؤمنين.

---

[1]- ينظر: **التوجيه المعنوي للبنية الصرفية في القرآن الكريم**، لقمان مصطفى سعيد، ص١٨٦

[2]- **التحرير والتنوير**، ج٢٧، ص٣٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالمؤمن بحاجة لهذه البِشارة في ذلك الوقت، لهول الموقف، يقول السعدي مبينا أهمية هذه البِشارة للمؤمنين في هذا الموقف الصعب: ".. إذا كان يوم القيامة، وكوِّرَت الشمس، وخسف القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم، فحينئذ ترى المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بأيمانهم ونورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه، ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة، فيقال: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾"[1].

وقد جاءت البشرى في هذا السياق على هيئة المصدر، ولم تأت بالصيغة الفعلية كما في الأفعال السابقة (ترى، يسعى)، وفي هذا التحول إشارة إلى عظم هذه البشرى، فالمصدر يدل على الثبوت، فهي بشرى ثابتة متحققة لا محالة حين يكون ذلك الوقت، وذلك لحاجة المؤمنين لمثل هذه البشرى العظيمة.

---

[1]- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٨٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني

البشرى بصيغة المبالغة

- بَشِيرا

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]

قال الإمام الزمخشري: "﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾: لأن تُبَشِّر وتُنذِر، لا لتَّجبِر على الإيمان، وهذه تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلم وتسرية عنه؛ لأنَّهُ كان يغتم ويضيق صدره؛ لإصرارهم وتصميمهم على الكفر"[١]، فهي تطمين لنفسه بأنه غير مسؤول عن قوم رضوا لأنفسهم بالجحيم[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلا تُسْأَلُ﴾ قراءتان: الأولى "لنافع ويعقوب بفتح التاء وجزم اللام (ولا تَسأل)، والباقون بضم التاء ورفع اللام (ولا تُسأل)"[٣]. فالقراءة الأولى لها وجهان عند المفسرين: "أحدهما، أن يكون على النهي عن المسألة. والآخر: أن يكون النهي لفظاً، والمعنى على تفخيم ما أعدّ لهم من العقاب، كقول القائل: لا تسأل عن حال فلان، أي: قد صار إلى أكثر ممّا تريده"[٤].

ذكر بعض المفسرين أن انتصاب (بشيراً) جاء على الحال[٥]؛ إمّا من المفعول وإمّا من الحق؛ لأنّه يوصف أيضا بالبِشارة والنّذارة[٦]. وترى الباحثة أن

١- **الكشاف**، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨، ج١، ص٣١٦.

٢- ينظر: **البحر المحيط**، أبو حيان، ج١، ص٥٣٨.

٣- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرى**، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، بيروت، دار الكتاب العربي، ص٣٩.

٤- **مجمع البيان في تفسير القرآن**، الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت، دار العلوم، ٢٠٠٥، ج١، ص٢٧٠.

٥- ينظر: **البحر المحيط**، أبو حيّان، ج١، ص٥٣٧.

٦- ينظر: **الدّر المصون**، السمين الحلبي، ج٢، ص٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يكـون مـن المفعـول أولـى وأقـرب إلـى ظـاهر الـنص. وأضـاف الشـوكاني وجهـاً آخـر وهو أن يكون مفعولا له أي أرسلناك لأجل التبشير والإنذار[1].

والحال هو ما ذهب إليه أغلب المفسرين، وأما ما ذهب إليه الشوكاني فلا إشكال فيه من حيث المعنى، لكنّه لا يتلاءم مع شروط النحاة حيث يمثل عدم الاشتراك في الشرط الصرفي حاجزاً يمنع من جعله مفعولا لأجله بدل الحال؛ لأن النحاة يرون أنّ المشتق لا يصحّ أن يأتي مفعولا لأجله. ومجيئه على باب يصلح للتعليل هو من باب التداخل الدلالي بين الحال والمفعول لأجله[2].

وأما دلالة الحال: فكون الآية جاءت متوسطة بين "حكايات أحوال المشركين وأهل الكتاب"[3] في معاندة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة رسالته والتثبيط منهما، فذكّره سبحانه أنّ الحال التي ينبغي أن يكون عليها معهم هي هذه الحال على حال الحزن والهمّ بمقالاتهم.

تتضمن الآية الكريمة السابقة بياناً للحال التي ينبغي أن يكون عليها النبي صلى الله عليه وسلم إزاء تشكيكهم وطلبهم المعجزات، حيث عبّر الله سبحانه وتعالى عن هذا الطّلب بالفعل المضارع ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨]؛ للدّلالة على تجدّد هذه المقولة من الكافرين على اختلاف الأقوام والأنبياء؛ أي التجدّد في هذا العناد، كما تدلّ المُضارعة على أنّها حالة عرضية مرضية ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

وإنّها مقولةٌ لأجل التكذيب، وليس بحثاً عن الدليل. فبيّن له الحق سبحانه أنّه لا ينبغي له إزاء هذا العناد العدول عن حاله التي بُعث عليها (بشيراً ونذيراً)، وتعليق هذه الحال بالفعل الماضي

---

[1]- ينظر: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار وفاء، ج١، ص٢٦٣.

[2]- ينظر: **الوظائف النحوية بين المركزي والهامشي**، لطيفة إبراهيم النجار، جامعة الإمارات العربية المتحدة، بحث منشور، ص٩٤-٩٦.

[3]- **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج١، ص٦٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ يدّل على أنّها حال ثابتة غير متحوّلة. وفي التداخل الدّلالي بين الحال والمفعول لأجله تركيزٌ لجهوده صلى الله عليه وسلم في طريق الدّعوة وهي: (البِشارة والنذارة).

وتلحظ الباحثة تعبير الله سبحانه وتعالى عن حالهم القديمة في التعنّت بطلب المعجزات بالفعل الذي يدلّ على الحدوث والانقطاع؛ لبيان عدم استقرارها في نفوسهم ولبيان بُطلان هذه المقولة، بينما عبّر عن حال النبي صلّى الله عليه وسلم بصيغة تدل على الاستقرار والثبوت كما سيأتي لاحقاً.

جاءت بُنية البِشارة هنا على وزن (فعيل)، وهو من الأوزان الدّالة على الثّبوت "ممّا هو خلقة أو مُكتسب"[1]. وهذا الوصف يُبنى من (فعُل) المضموم العين، وهو في الأغلب للغرائز؛ أي: للأوصاف المخلوقة (كالحسن والقُبح)، وقد يجري غير الغريزة مجراها إذا كان لهُ لُبثٌ ومكث نحو: (حلُم)، ومن هُنا كانت الدلالة على الثبوت[2].

وجاء عند ابن فارس في فقه اللّغة قوله: "إنّ الصفات اللازمة للنفوس تكون على وزن (فعيل) نحو: شريف وخفيف"[3]. لذلك نجد أنّ الثّبوت هو أحد أبرز أوجه الدلالة لهذه الصيغة وهو ما يتلاءم مع معنى الآية وجوّها السياقي، حيثُ أراد الله سبحانه لمهمّة النبي من التبشير والإنذار أن تكون ملازمة له؛ كأنّها أبرز أوصافه التي لا تنفكّ عنه، ومُعبّرة عن معظم أحواله في الدّعوة إليه سبحانه.

وتظن الباحثة أنّ أحد أسباب مجيء البُشرى على هذه البُنية الصرفيّة، هو قطع الأمل عن المعاندين من الاستجابة لشروطهم ومطالبهم في الإتيان بالآيات والمعجزات، كما كان في الشرائع

---

[1]- **معاني الأبنية في العربية**، فاضل صالح السامرائي، ص٨٣.

[2]- ينظر: المصدر السابق، ص٨٣-٨٤.

[3]- **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، أحمد بن فارس، القاهرة، المكتبة السلفية، ١٩١٠، ص ٢١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والرسالات السابقة؛ لذلك ردّ الله عليهم بالصّيغة الاسميّة الدّالة على الثّبوت لتُبيّن لهم أنّ الآيات شأنٌ إلهي، وليست من شأن النبي صلى الله عليه وسلم.

وممّا يسترعي الانتباه في ورود هذه الصيغة هو العدول عن أصلها كاسم فاعل (مبشّراً) إلى (فعيل)، وقد قال أبو حيّان: "وعدل إلى (فعيل) للمبالغة؛ لأنّ (فعيلا) من صفات السجايا"[1]

ويحسنُ المرور على طرق الدّلالة على المبالغة عند العرب وهي طريقان:

١. العدول أو الانحراف عن أصله، حيث قال ابن جنّي: "وذلك أنّك في المبالغة لا بُدّ أن تترك موضعاً إلى موضع، إمّا لفظاً إلى لفظ، وإما جنساً إلى جنس"[2].

٢. النّقل من بناء إلى آخر أكثر منه؛ أي من المجرّد إلى المزيد، أو من المزيد إلى أكثر منه زيادة[3].

وبناءً على ما سبق نقول إنّ العدول عن اسم الفاعل إلى صيغة المُبالغة يُؤذن باتّصاف النبيّ بهذه الصّفة على نحو خاص يختلف عن باقي النّاس، حيثُ إنّ "اسم الفاعل يُفيد اتّصاف الموصوف بالصّفة اتّصافاً عامّاً، أمّا المبالغة فتفيد اتّصافاً مخصوصاً"[4].

ومن هنا فحال النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته من التبشير والإنذار ليس كحال الدّعاة، وإنّما حاله فيها كحال من استقرّت نفسه على هذه السّمة حتّى أصبحت سجيّة من سجاياه عليه الصلاة والسلام، فهو إيغال في البِشارة والنّذارة ليكون البشير النّذير. وتدلّ هذه البُنية الصرفية (فعيل) على معاناة الأمر وتكراره حتّى أصبح كالطبيعة في شأن صاحبه[5]. وهذه الآية الكريمة

---

[1]- **البحر المحيط**، أبو حيان، ج١، ص٥٣٨.

[2]- **الخصائص**، ابن جنّي، ج٣، ص ٤٦.

[3]- ينظر: المصدر السابق، ج٣، ص ٤٦.

[4]- **التوظيف القرآني للطاقات الدلالية في اللغة العربية**، محمد شبلي، http://www.alukah.net/publications_competitions/ ./٣٧٧٧٣/١١٠٢٧

[5]- ينظر: **معاني الأبنية العربية**، السامرائي، ص١٠٢- ١٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُبرز أحد أوجه معاناته صلى الله عليه وسلم مع محاولات الكفّار من الحِجَاج والعناد وطلب المعجزات.

ولا تعني الباحثة بذلك أنّ صيغة (بشيراً) أبلغ من (مُبشّر) على الإطلاق، بل كُلٌّ بليغٌ في موضعه، حيث وردت باسم الفاعل (مُبشراً) في مواضع أُخرى، واسم الفاعل يدلّ على الثّبوت من وجه، لكنّه لا يرقى إلى ثبوت (فعيل)[1].

فحيثما اقتضى المقام التركيز على معنى الثبوت آثر السياق هذه البُنية -بُنية فعيل- وحيثما اقتضى المقام الإشارة إلى التجدّد والحدوث، حسُن إيراده على هيئة اسم الفاعل، ولا يعني ذلك أنّ اسم الفاعل يدّل على الحال فقط، بل قد يدلّ على الماضي أو الاستقبال فهو مُرتبط بالدّلالة الزمنيّة[2]. فلمّا كان السّياق يقتضي التحرّر من الدّلالة الزمنيّة، حيث تحدثّ عن اليهود والنصارى والمشركين وعاد في الحديث إلى إبراهيم عليه السلام، كان إيراد هذه الصيغة مُناسباً لطبيعة السياق الممتد في فترته الزمنيّة منذ إبراهيم عليه السلام وحتّى محمد صلى الله عليه وسلّم.

---

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص٤١.

[2]- ينظر: **اسم الفاعل في القرآن الكريم** -دراسة نحوية صرفيّة دلالية في ضوء المنهج الوصفي-، سمير محمد عزيز، رسالة ماجستير، نابلس، جامعة النجاح الوطنيّة، ٢٠٠٤، ص٩٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث

البشرى بصيغة اسم الفاعل

أولا: مُبَشِّرِينَ

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]

اختلف المفسّرون في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، قال بعضهم: "كانوا على الهدى جميعًا، "فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين منذرين" فكان أول نَبي بعث نوحًا. وهكذا قال مجاهد،.... وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول: كانوا كفارًا"[١].

والرأي الذي تختاره الباحثة هو الذي يفسر أنّهم كانوا على دين واحد وهو الإيمان[٢]. وقد رجّحت الباحثة هذا الرأي للأسباب التالية:

١. أنّ الوحدة والاجتماع لا تكون على الباطل، فما زال في الباطل أثر فُرقة يستبين بها ويظهر.

٢. لأنّ الإنسان عُلّم مبادئ التوحيد منذ خلقه، فالتوحيد هو الأصل وهو السابق على الكفر.

٣. اكتفى الله عزّ وجلّ "بالخبر عن الأُمّة من الخبر عن الدين لدلالتها عليه"[٣].

١- **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج١، ص٥٩٦.

٢- ينظر: **جامع البيان في تأويل القرآن**، الطبري، ج٣، ص٦٢٥.

٣- المصدر السابق، ج٣، ص٦٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال المفسّرون: أصل الجُملة كان النّاس أمّة واحدة فاختلفوا فبعث الله...[1]، وللباحثة رأي في الآية الكريمة بأنّها تحتمل ألّا يكون هُناك حذف، وأنّ إرسال الله للرسل لا يعني أنّ الناس كانوا على الكُفر، بل رُبّما أراد الله –عزّ وجلّ– بإرسال الرسل أن يقوّم سلوك عباده، ويصلح حالهم في دنياهم وآخرتهم بالشرائع؛ فهُم وإن كانوا على أصل التوحيد محتاجون لعون الله على الاستقامة، ويقوّي هذا المعنى لديّ قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]؛ أي: أنّ الاختلاف حدث بعد العلم، فالاختلاف بعد العلم مذكور، وأمّا قبله إما محذوف وإمّا غير مراد في النّص، ولذا ما ذُكر أولى بالاعتبار. فهذا المعنى ممّا يمكن أن تحتمله الآية ويمكن أن تحتمل غيره.

تدلّ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ﴾ في أصلها العام على الترتيب والتعقيب، وهي هُنا تُبرز عناية الله –عزّ وجلّ– بعباده، سواء أكانت هذه العناية من ناحية أنّه لم يرض لهم الكُفر فتداركهم بالرّسل، أم كانت العناية من جهة إصلاح شأنهم بالشرائع. فإذا كان المقصود بالآية كفرهم بعد الإيمان فهي تدلّ على سرعة تدارك الله لعباده رأفة بهم من المصير الّذي ينتظر الكافرين، وممّا يدعم هذه العناية الإلهيّة بالعباد وصف الأنبياء بالمبشّرين والمُنذرين.

وتلحظ الباحثة في الآية الكريمة تقديم البِشارة على النذارة؛ فقد جاء في القرآن الكريم مواضع تقدّمت فيها البِشارة على النّذارة وهو الغالب، ومواضع أُخرى تقدّمت فيها النّذارة على البِشارة وهُناك مواضع ذُكرت فيها البِشارة وحدها، وأُخرى ذُكرت فيها النّذارة وحدها، فلا بُدّ من أسرار تكمُن خلف ذلك.

وفي شأن التقديم والتأخير بين البِشارة والنذارة أورد العلماء بعض التوجيهات:

---

[1]– ينظر: السابق، ج٣، ص٦٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قال أبو حيّان: "وقدّم البِشارة لأنّها أبهج للنّفس، وأقبل لما يُلقي النّبي، وفيها اطمئنانُ المُكلّف"[1].

وقال الرازي: "قدّم البِشارة على الإنذار؛ لأنّ البِشارة تجري مجرى حفظ الصّحة، والإنذار يجري مجرى إزالة المرض، ولا شكّ أنّ المقصود بالذّات هو الأول دون الثاني"[2].

فالتبشير متقدم على الأصل، ولكن تقدم النذارة على البِشارة في بعض المواطن هو الذي يحتاج إلى وقفة لمجيئه على خلاف الأصل. ومِثالُهُ قولُه تعالى في سورَةِ الأعراف: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فنظرت في سياقها، فوجدت غالب السياق يدور في الحديث حول الكفار.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧]

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]

ولكّنها لا تَخلو من إشاراتٍ للمؤمنين

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]

---

[1]- **البحر المحيط**، أبو حيان، ج٢، ١٤٤.

[2]- **تفسير الرازي**، الرازي، ج٦، ص١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهكذا فحينَ يَستعلي الكُفر، ويَتقدَّمُ الاعوجاج على الاستِقامَة، بحيثُ لم تَعُد البِشارة تفيد مع هذا الصِّنف، يأتي الإنذارُ مُتَقَدّماً على البِشارة تَقويماً لهذا الاعوجاج، وتأتي البِشارة تالِيةً من أجلِ وجودِ تلكَ الفئةَ المؤمنة التي تَحتاجُ إليها.

وأما الإتيان بالإنذار مفردا دونَ البِشارة كما في قولِه: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٦]، فالنّاظر في السّياقِ يجد الحديث كُلّه يدور حول الكُفر والجحود والاعوجاجِ عن الفطرةِ... واضمحلالِ بقعة الإيمان واختِفائها، فيَأتي الإنذارُ حازماً في هذِهِ الحالةِ التي لم يعد فيها للبشارةِ مكان. والآيات التي جاءت قبل هذه الآية الكريمة، هي:

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤]

﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٥]

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩]

وأما إفراد البِشارة كما في المواضع التالية:

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤]

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]

فواضح في هذه الآيات أنّ الخطاب موجه للفئة المؤمنة التي استعلى الحق في نفوسها، وهي من إيمانها مستحضرة لنذارة الله عز وجل، فليسوا من أهل الغفلة، فبشّرهم الله بأشكال البشرى كافة وألوانها جزاء لهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الدلالة الإعرابيّة للبشارة، فأورد أبو حيّان أنّ انتصاب "مبشرين ومنذرين على الحال المقارنة"[1]، ورجّح السمين الحلبي كونها حالا مقدرة؛ لأنّ القول بأنها حال مقدّرة يتأتّى منه أنّ بعثهم "كان وقت البِشارة والنذارة، وفيه نظر؛ لأنّ البِشارة والنذارة بعد البعث"[2].وتابع الألوسي السّمين الحلبيّ على رأيه بأنّها حال مقدّرة[3].

وقبل التّرجيح أذكر معنى كلّ من الحال المقارنة والمقدّرة:

الحال المقارنة: "هي التي يتحقّق معناها في زمن تحقق معنى عاملها....

والمقدّرة أو المستقبَلة: هي التي يتحقّق معناها بعد وقوع معنى عاملها"[4].

وترى الباحثة أنّ القول بأنّها حال مقارنة أولى، وذلك لأن مجرد إرسال الرّسل هو بحد ذاته تبشير وإنذار، وأن بعثهم مقرون بهذه البِشارة والنذارة، وإيراد الاسم دون الفعل يدلّ على ذلك، فلو كانت البِشارة والنّذارة مقصورة على ما بعد البعث لكانَ الأولى القول (فبعث الله النبيين ليبشروا وينذروا)، ولكن الأمر اقتضى أن يكون حال النّبيين مبشّرين ومنذرين بمجرّد البعث، وليس بعده. وهذا مما يتلاءم مع السّياق الذي يبيّن عنايَة الله بعباده.

وممّا يستوقف القارئ الهيئة الصّرفيّة التي جاءت عليها كلمة (مبشّرين)، وكانَ من الممكن أن تأتي (ليبشّروا) أو فبعث الله النّبيين بشرى، فجميع المعاني تصح على هذا النّحو، فما وجه إيثار هذه الهيئة.

---

[1]- **البحر المحيط**، أبو حيّان، ج٢، ص١٤٤.

[2]- **الدر المصون**، السمين الحلبي، ج٢، ص٣٧٤

[3]- ينظر: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المعاني**، شهاب الدين محمود الألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٢، ص١٠١.

[4]- **النحو الوافي**، عباس حسن، مصر، دار المعارف، ط٣، ج٢، ص٣٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أعود إلى الفعل الذي أُخذت منه الكَلمة وهو (بشّر) على وزن (فعّل) وهو يأتي لمعاني عدة، منها الكثرة، ووجه الكثرة هنا يقّع على العمل بالبِشارة والنذارة، لا شك أنّ الله أراد من أنبيائه الإكثار من التبشير والإنذار حتى صار حالهم وطبعهم مع أقوامهم.

ثمّ أعود لصيغة اسم الفاعل، فهي صيغة اسميّة لها مقوّمات فعليّة[1]، وربّما آثر السّياق القرآنيّ اسم الفاعل ليحقق دلالتين:

الأولى: تتحدث الآية عن عهد سابق ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، وعهد جديد هو عهد إرسال الرسل، فجاءت جملة ﴿فَبَعَثَ اللهُ﴾ مبتدئة لعهد جديد؛ لذا اقتضى السياق الصيغة الدّالة على الحدث[2] إشارة إلى حدوث هذا العهد.

الثانية: إشارة إلى أنها هيئة متجددة للأنبياء بتجدد الأزمان والأقوام.

فهذا سبب إيثار صيغة اسم الفاعل على (الاسمية المحضة). وأما سبب إيثار هذه الصيغة على الفعليّة؛ فلأنّها صفة أرادها الله في هذا المقام أن تدل على شيء من اللزوم والثبات.

ثانيا: مُبَشِّرَات

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦]

من آيات الله وقدرته أنه يرسل الرياح المبشرة بنزول الأمطار، ليستبشر الناس بها، ولتجري الفلك بأمره، وكل ذلك ينبغي أن يقابله شكر الله على نعمه وفضله.

---

[1]- ينظر: **اسم الفاعل في القران الكريم**، سمير محمد عزيز، ص ٩٥.

[2]- ينظر: المصدر السابق، ص ٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ففي هذه الرياح البشارات الكثيرة فهي لا تقتصر على نزول المطر، يقول أبو حيان: "وليس تبشيرها مُقتَصِراً به على المطر، بل لها تبشيرات بسبب السفن والسير بها إلى مقاصد أهلها، وكأنه بدأ أولا بشيء عام، وهو التبشير.... ولذلك قرأ: مُبَشِّراتٍ. ثم ذكر من أعظم تباشيرها إذاقة الرحمة، وهي نزول المطر، ويتبعه حصول الخصب، والريح الذي معه الهبوب، وإزالة العفونة من الهواء، وتذرية الحبوب، وغير ذلك"[1].

جاءت مبشرات بصيغة اسم الفاعل، ولم تأت بالصيغة الفعلية (ليبشركم)، لأن صيغة اسم الفاعل تبين وظيفة الرياح المأمورة من عند الله تعالى، فكل البشارات التي تسببها الرياح هي وظيفة ثابتة لها على مر الزمان، ففي انتهاء وظيفتها انتهاء الحياة وموت الناس. لذا لم يستخدم الصيغة الفعلية القابلة للتجدد والزوال.

وكلمة (مبشرات)، مشتقة من الفعل بشّر، الدال على المبالغة والتكثير، فصيغة التكثير تبين لنا كثرة البشارات وعظمها، وشدة أهميتها، ففي هذه البشارات بقاء الحياة واستمرارها على الأرض. وجاءت بصيغة الجمع للإشارة إلى عظمة قدرة الله تعالى، ولإيصال المعنى المراد في الآية الكريمة إلى المخاطب كما ينبغي.

"وجاء التعبير عن بشرى الرياح في هذه الآية بلفظ (مبشرات)، بينما في الآيات الأخرى بلفظ (بشرا)،....، الناظر في كلمة (مبشرات) يجد أنها جمع، مفرده (مبشرة)، ومبشرة اسم فاعل من (بشر)، أما كلمة (بُشُرا) فهي جمع، مفرده (بشير)، وبشير صيغة مبالغة من بشر، والمبشر هو الذي يباشر فعل البشرى بنفسه، فالتعبير عن الرياح بأنها مبشرات فيه مزيد من تأكيد للبشرى وتفخيم لشأنها، فلم تعد الرياح علامة صماء على قدوم المطر، بل خلع عليها الحياة فأضحت دليلا ناطقا بالبشرى، أشبه برسول يخبر الناس أن خيرا عظيما آت لهم. وتعظيم البشرى في آية الروم

---

[1]- **البحر المحيط**، أبو حيان، ج٧، ص١٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يناسب السياق الذي جاءت فيه، حيث يبسط فيه الحديث عن بشرى الرياح، وذكر كثير من فوائدها"[1].

فبشرى الرياح أتت بالصيغة الاسمية لتدل على ثبات بشارات الرياح واستقرارها، وجاءت بصيغة اسم الفاعل لتعظيم الرياح وتفخيم شأنها، فهي التي تقوم بهذه الخيرات بأمر الله تعالى، واسم الفاعل يدل على وظيفة المبشر، فالخيرات التي تنزل بها الرياح من وظائفها المكملة للحياة على وجه الأرض، وكلمة (مبشرات) من الفعل(بشّر)، الدال على المبالغة والتكثير، كل ذلك جاء ليعبر عن الخيرات التي تنزل بها الرياح، وذلك لكثرتها ولعظم شأنها في بقاء الكون.

وبعد الحديث عن بشارات الرياح تحدثت الآيات عن إرسال الرسل، والوعد بنصر المؤمنين، ثم عاد للحديث مرة أخرى عن الرياح، تكمن الحكمة في ذلك في أن هناك تشابها بين الرياح والرسل، فالرياح والأنبياء يحملون رسالة البشرى.

والآيات السابقة تبين ما حل بالكفرة، ثم تحدثت عن جزاء المؤمنين، وجاءت بشرى الرياح وإرسال الرسل بعد جزاء المؤمنين، وعليه فالرياح تحمل رسالة فيها البشرى للمؤمنين بقدوم الخيرات، والرسل كذلك يبشرونهم بنصر الله لهم[2]. يقول سيد قطب: "إنه يجمع في هذه الآيات بين إرسال الرياح مبشرات، وإرسال الرسل بالبينات، ونصر المؤمنين بالرسل، وإنزال المطر المحيي، وإحياء الموتى وبعثهم.. وهو جمع له مغزاه.. إنها كلها من رحمة اللّه، وكلها تتبع سنة اللّه. وبين نظام الكون، ورسالات الرسل بالهدى، ونصر المؤمنين، صلة وثيقة. وكلها من آيات اللّه. ومن نعمته ورحمته، وبها تتعلق حياتهم، وهي مرتبطة كلها بنظام الكون الأصيل"[3].

---

[1]- **البشرى في القرآن الكريم**، نزار عطا الله، ص١٥٧.

[2]- **البشرى في القرآن الكريم**، نزار عطا الله، ص١٥٨.

[3]- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ج٦، ص٢٧٧٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهكذا، فإنه من جميل التوظيف القرآني لسياقات التركيب الاسمي أنه يختار الصيغة المناسبة لكل حدث لتدل عليه، وهذا يدل على كمال إعجاز القرآن الكريم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

الصيغ الفعلية للبشرى ودلالتها

المبحث الأول: البشرى بصيغة الماضي

المطلب الأول: المبني للمعلوم

بَشَّرْنَاهُ

المطلب الثاني: المبني المجهول

بُشِّرَ

المبحث الثاني: البشرى بصيغة المضارع

يُبَشِّرُكَ

يَسْتَبْشِرُونَ

يُبَشِّرُهُمْ

المبحث الثالث: البشرى بصيغة الأمر

وَبَشِّر

فَبَشِّرْهُمْ

فَاسْتَبْشِرُوا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

الصيغ الفعلية للبشرى ودلالتها

تجتمع في الفعل دلالتان؛ دلالة الحدوث ودلالة الزمان، فالفعل ما دل على حدث وزمان[1]، إن اجتماع دلالة الزمان والحدث شرط أساسي لتحديد الصيغة الفعلية، فلا فعل بلا زمن ولا فعل بلا حدث. وينقسم الفعل من حيث الدلالة الزمنية إلى ثلاثة أقسام: ماض، ومضارع وأمر.

وتتعدد دلالات الخطاب اللغوي، حسب العوامل الداخلية والخارجية للنص، فلا يكون النص ذا دلالة مستقرة محددة تلازمه دوما[2]، بل نجد أن معاني النص تتغير وتتنوع من آن لآخر، بسبب تعدد العوامل المؤثرة في دلالة الخطاب، فنلحظ أن تفاسير القرآن الكريم تختلف فيما بينها في بيان دلالة الآيات، وتتنوع وفق ما تكشف عنه الآيات لكل مفسر، فصيغة الفعل وإعرابه ومناسبته اللفظية، وحال المستقبلين، وقصد المرسل، كلها عوامل تؤثر في دلالة السياق القرآني، وتؤدي إلى تنوع آراء المفسرين وتشعبها.

وتجد الباحثة أن القرآن الكريم يتوخى اختيار الفعل المناسب من حيث الدلالة لكل سياق قرآني، وتتنوع دلالة الفعل نفسه بحسب العناصر الموجودة في السياق، فلا يمكن أن نفسر الفعل بمعزل عن السياق، لأن جميع العناصر الداخلة في النص مجتمعة تؤثر في الدلالة، وتبين المعنى المقصود من الآيات. وفيما يلي تفصيل لذلك:

---

[1]- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص٨٧.

[2]- ينظر: **استراتيجيات الخطاب**، عبد الهادي بن ظافر، ص٧٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الأول

البشرى بصيغة الماضي

المطلب الأول: المبني للمعلوم

- بَشَّرْنَاه

قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]

وقال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]

بشر الله تعالى سيدنا إبراهيم بغلام حليم بعد سؤاله أن يرزقه الله الولد، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١]، وهو سيدنا إسماعيل -عليه السلام- بلا شك، ووصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالحلم، لأنه كان حليما في تقبله لرؤيا أبيه بذبحه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وقد اختلف المفسرون في شأن الغلام الحليم المبشر به، منهم من رأى أنه سيدنا إسماعيل عليه السلام، ومنهم رأى أن المبشر به هو إسحق عليه السلام.

ترجح الباحثة القول الأول بأن الغلام الحليم هو إسماعيل عليه السلام وذلك ما دلت عليه الآيات الكريمة. ففي قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، عطف البشرى بإسحق بعد البِشارة بالغلام الحليم، وهذا يقتضي التغاير بين البشارتين[1]. فهذه البِشارة جاءت تعقيبا على رؤيا ذبح إسماعيل عليه السلام، وجزاء لسيدنا إبراهيم على صبره في موقف الذبح العظيم، فكان الجزاء الأول الفداء العظيم، والثاني: البِشارة بولد يولد له ويصبح نبيا.

---

[1]- ينظر: **البشرى في القرآن الكريم دراسة موضوعية**، ص٥١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، "فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب؟"[١].

ففي ذلك كله دلالة على أن الغلام الحليم هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾، لم يقل فبشرناها بنبوة اسحق، فدل ذلك على أن سيدنا إبراهيم سيرزق بعد ولده إسماعيل بإسحق الذي سيكون فيما بعد نبيّا.

يدل استخدام القرآن الكريم لصيغة الفعل الماضي أن البِشارة حاصلة لا محالة، وأنه أمر قطعي الدلالة. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]،يقول فاضل السامرائي في الفعل الماضي ﴿أَنْعَمْتَ﴾: "أما جعل فعل الأنعام فعلا ماضيا فذلك ليتعين زمانه، وليبين أن المقصود صراط الذين ثبت إنعام الله عليهم وتحقق"[٢].

ولم يستخدم القرآن الكريم الفعل المضارع (ونبشره) أو (يبشره)، لأنه لا يوجد دلالة القطع في المضارع كما هي في الماضي الذي يدل على وقوع الأمر جزما بلا شك، لأن المضارع أكثر ما يدل على الحال[٣].

وفي الفعل دلالة على التجدد والحدوث، فكأنه يشير إلى تجدد حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام بوجود الأولاد، وإلى واقع التغير الذي سيحصل من بعد هذا الرزق العظيم. أما الصيغة الاسمية فإنها تدل على ثبوت الأمر واستمراره وثباته، وهذا على عكس واقع الحياة، فكل ما على الأرض فان، ولا يبقى إلا الله تعالى.

١- **فتح القدير**، الشوكاني، ج٤، ص٥٣٢.

٢- **لمسات بيانية**، فاضل السامرائي، ص٥٩.

٣- ينظر: السابق، ص٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والفعل (بشّرناه)، أصله (بشّر)، وهو يدل على التكثير[1]، فالله تعالى يعظم هذه البشارة، ويبين أن الأولاد نعمة عظيمة، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]؛ فربط الله تعالى بين المال والبنين، وجعل الله تعالى نعمة الأولاد فتنة كالأموال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]. لذا استخدم صيغة فعّل التي تدل على تكثير الأمر وتعظيم شأنه.

المطلب الثاني: المبني للمجهول

- بُشِّرَ

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]

يصف الله تعالى في هذه الآيات أهل الجاهلية، فهم يتضايقون ويضجرون من البنت، فإذا سمع خبر ولادتها اسودّ وجهُهُ وغضِب من شدّة الهمّ والغمّ والحزن، لا يعرف ماذا يفعل بها، فكانوا يفضلون الذكور على الإناث.

فبعد "أن بيّنت الآية السابقة ما زعمه الكفار من أن الله سبحانه وتعالى اصطفى الإناث، وجعلهن بنات له، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]؛ تبين هذه الآية والتي بعدها المفارقة العظيمة التي وقع فيها الكفار، وهي أنهم ينسبون البنات لله، وفي الوقت نفسه لا يرضون البنات لأنفسهم، فتصف هذه الآية حال الكفار عندما يخبرون بولادة أنثى لهم"[2].

---

[1]- ينظر: **أبنية الأفعال -دراسة لغوية قرآنية-**، نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة، ١٩٨٩، ص٥٠.

[2]- **التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني**، سامي وديع عبد الفتاح، ص١١٧، من الموقع http://shamela.ws/browse.php/book-606/page-65.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جاءت البشرى في آية ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾ على وجه التهكم والسخرية، فالأصل في البشرى أنّها مختصة بالخير، وإدخال السرور إلى قلب المبشر، أما هنا فقد خرجت البشرى عن أصلها، فهم يعدّون البشرى بالأنثى مصيبة، وهذا يعتبره المفسرون تهكما وسخرية من هؤلاء الكافرين[1]، وفيه استنكار لفعلتهم هذه. وقد تكون البِشارة هنا بمعنى الإخبار، أو تغير البشرة بشكل مطلق[2].

وقد جاء فعل البشرى في آيات البشرى بالأنثى مبنيا لما لم يسم فاعله، وذلك "للتركيز على المبشَّر(المفعول به) لأنه المقصود بالبيان، فغرض الآية بيان سوء حال المبشرين بعد بشارتهم بالأنثى التي أضافوها إلى الله تعالى. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لكراهة المبشِّر (الفاعل) لدى المبشّرين بهذه البشرى، فمن شدة كراهتهم لهذه البشرى كرهوا حاملها"[3].

إن معرفة الفاعل لا يؤثر في الحدث، فالمتأثر هو المبشَّر والمبشَّر به، والخبر بحد ذاته؛ لذا بني الفعل لما لم يسم فاعله، فشخصيات الحدث الرئيسة هم من يقومون بهذه الفعلة، وعبر عنهم في هذه الآية بكلمة (أحدهم)، فلا يؤثر في مجرى القصة معرفة الفاعل[4]، فالمهمّ هنا هو بيان رد فعل المبشّر على البِشارة بالأنثى، فلا أهمية لذِكرِ الفاعل في هذه الآية وإطالة الكلام، فالإيجاز أولى من ذكر الفاعل. والباء في (بالأنثى) لتعدية فعل البِشارة، وعلقت بذات الأنثى. والمراد بولادتها، فهو على حذف مضاف معلوم[5].

---

[1]- ينظر: **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج١٤، ص١٨٤.

[2]- **البحر المحيط**، أبو حيان، ج٥، ص٤٨٨.

[3]- **البشرى في القرآن الكريم**، نزار عطا الله ، ص١٦٣.

[4]- ينظر: **المبني للمجهول في القرآن الكريم** "بحث في النحو والدلالة"، زاهر محمد حنني، فلسطين، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد (٣)، العدد (٢)، ٢٠٠٧، ص٤٣-٦٢.

[5]- ينظر: **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص١٨٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجاء التعبير بـ (أحدهم)، ليدل على أن حال الكفار واحدة، في هذه العادة السيئة، فقد أصبحت عادة عند جميع هؤلاء الجاهليين دون استثناء، فهم يكرهون أن يبشّروا بالأنثى، ويفضلون الذكور على الإناث، ففي كلمة (أحدهم) تنصيص على جميع أفراد الجاهلية[1]. وهذا يدل على جهل هؤلاء، لتوارثهم هذه العادة القبيحة.

ومن الملاحظ في هذه الآية أن الله تعالى وصف حال وجه المبشرين بالأنثى بقوله: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾، وهذا يؤكد لنا أصل البِشارة في القرآن الكريم، فهي ترتبط دائما بالخيرات وبظهور البشاشة على وجه المبشر، لذا فالله تعالى أتبع هذه البشرى بما يزيل عنها الإبهام، فلم تكن كباقي البشارات المذكورة في القرآن الكريم. وفي وصف الكفار بهذا الوصف مزيد من التهكم والسخرية، وتأكيد على ضلالهم وسوء استقبالهم لما بشروا به.

فالأصل أنْ يفرح الإنسان بالبِشارة، إلا أنَّ الكفار كانوا كارهين للإناث، حتى أنَّ ملامح وجههم تتغير وتمتلئ غيضاً لهذه البِشارة، فيسْوَدُّ الوجْهُ. ومن المفسّرين من رأى أنه السواد الحقيقي، كما جاء عن الرازي قوله: "إذا قوي غمّ الإنسان احتقن الروح في باطن القلب، ولم يبقَ منه أثر قوي في ظاهر الوجه، فلا جَرمَ يربد الوجْهَ ويَصْفَرّ وَيَسْوَدّ، ويظهر فيه أثر الأرضية والكثافة، فثبت أن من لوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه، ومن لوازم الغم كمودة الوجه وغبرته وسواده؛ فلهذا السبب جعل بياض الوجه وإشراقه كناية عن الفرح وغبرته، وكمودته وسواده كناية عن الغم والحزن والكراهية"[2].

---

[1]- ينظر: **التفسير البياني لما في سورة النحل**، سامي وديع عبد الفتاح، ص١١٧.

[2]- **تفسير الفخر الرازي**، ج٢٠، ص٥٦-٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما قوله: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ فتعني شدة الغم، أو الحزن، أو أنَّ المبشَّر يكتم ما في قلبه من الغيظ فلا يتكلم من شدة ما أصابه من الهم والغم[1]. ويحاول المبشَّر بالأنثى أن يختفي عن قومه حتى لا يسأل عما رُزِقَ به. وذلك لسوء ما بُشِّر به، ونلحظ أن الله تعالى أعاد لفظ البِشارة مرة أخرى، وفي ذلك حكمة ومقصد؛ إذ يقول: "مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ"؛ فيبين الله أن الأنثى هي بشرى من الله له، وليست بالسوء الذي يجده، وقد تكون الحكمة من تكرار لفظ البِشارة هو أن يحنن الله قلب المبشَّر عليها. فنجد المبشَّر متردّدًا بين أنْ يبقيها حَيَّةً على هَوْنٍ ومذَلَّةً، أم يدفنها في التراب[2].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1]- ينظر: **تفسير القرطبي**، ج١٠، ص١٤١.

[2]- ينظر: **تفسير الشعراوي**، محمد متولي الشعراوي، القاهرة، أخبار اليوم، ١٩٩١، ج١٣، ص٨٠١٥.

المبحث الثاني

البشرى بصيغة المضارع

أولا: يُبَشِّرُكَ

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [ال عمران: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [ال عمران ٤٥]

"قرأ الأخوان[١] هنا في الموضعين بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة (يَبْشُرك)، والباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة"[٢]. و كثير ممّن كَتَبَ في عِلَل القراءات يَعزون الاختلاف في القراءات لاختلاف اللغات[٣]. ولكن الباحثة ترى أنّ هذا تعليل ضعيف لا يَصمَدَ أمام من وجّه هذا الفرق وعلله.

ومن هؤلاء الإمام الطبري، يقول: "﴿يُبَشِّرُكِ﴾ بتشديد الشين وضم الياء، على وجه تبشير الله زكريا بالولد، من قول الناس: "بشّرت فلانا البشرى بكذا وكذا"، أي أتته بشارات البُشراء بذلك..... (ويَبشرُك) بفتح الياء وضم الشين وتخفيفها، بمعنى: أن الله يَسرّك بولد يهبه لك"[٤].

---

[١]- الأخوان هما: حمزة الكوفي والكسائي، ينظر: **البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، عبد الفتاح عبد الغني، ص١١.

[٢]- المصدر السابق، عبد الفتاح، ص٦٣.

[٣]- ينظر: **الحجة في القراءات السبع**، ابن خالويه، تحقيق و شرح: د.عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ١٩٧١، ص١٠٨

[٤]- **جامع البيان في تأويل آي القران**، الطبري، ج٥، ص٣٦٧-٣٦٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وعلل ابن خالويه قراءة التخفيف لأبي عمرو في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورى ٢٣]؛ "أنّ أبا عمرو فرق بين البِشارة والنضارة، فما صحبته الباء شدّد فيه، لأنّه من البشرى، وما سقطت منه الباء خفّفه، لأنّه من الحسن والنضرة، وهذا من أدل الدليل على معرفته بتصاريف الكلام، غير أنّ التخفيف لا يقع إلا فيما سَرّ، والتشديد يقع فيما سَرّ وضَرّ"[1].

وذكر الإمام الألوسي أنّ من قرأ (يبشّرك) مثقلة فإنّه من البِشارة، ومن قرأها مخففّة فإنه من السرور[2]. وترى الباحثة أن كُلّاً من القراءتين تتّمان بعضهما، حيث جمعت الكلمة بقراءاتها بين معنى السرور والبِشارة بالولد، وهو من تمام نعمة الله عز وجل على زكريا ومريم بأن أسرهما وبشرهما بالولد.

وقد يرد سؤال أو اعتراض بأنّه من ذا الذي لا يُسَرُّ بالولد ؟!، ويُردّ عليه بأن أكثر ما يظهر أثر ذلك في بشارة مريم، حيث إنّها فتاة لم تتزوج، ولا تنتظر الولد، بل مجيء الولد بغير زواج يُعد سبب خوف عميق لها، فبيّنت هاتان القراءتان أنّ الله أسرّ مريم بالبِشارة وأزال عنها الخوف.

وأمّا في شأن زكريا –عليه السلام– حيث كان شيخاً كبيراً وامرأته كذلك، فالبِشارة بالولد يعكرها الخوف عليه من بعدهما... ولكنّ هاتين القراءتين بينتا أنّه لم يوجد لهذا الخوف أثر، وكانت بشارة تامة عليهما، وغاية في السّرور.

وقد ورد في سورة مريم قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].قال أبو السّعود: "والعدول عن إسناد التبشير إلى نون العظمة، حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء: أمير المؤمنين يرسم لك بكذا، للإيذان بأن ما

---

[1]– **الحجة في القراءات السبع**، ابن خالوية، ص١٠٩.

[2]– ينظر: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم** ، شهاب الدين الألوسي، ج٣، ص١٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حكي هناك من النداء والتبشير، وما يترتب عليه من المحاور كان ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية عنه سبحانه، لا بالذات كما هو المتبادر، وبهذا يتضح المعنى في السورتين الكريمتين"[1].

ورأى محمد رشيد رضا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ "إشعاراً بأن البِشارة محكيّةَ بالمعنى لا باللفظ"[2].

"قرأ ابن عامر وحمزة بكسر همزة إنّ، والباقون بفتحها"[3]. فقراءة الكسر "على إضمار القول، كأنّه قال: فنادته الملائكة وقالت: إنّ الله يبشرك"[4]، وحذف القول للإيجاز والسرعة التي تناسب ورود حرف الفاء، الذي دل على قصر المسافة الزمنية الفاصلة بين الدعاء والإجابة؛ قال الأستاذ محمد شاكر معبراً عن دور الفاء: "فالفاء تحرّك الزمن في الفعل الماضي، وتمده، وتماطله حتى تبلغ به أوّل الزمن في الفعل الذي يليه"[5].

والتوكيد على كلا القراءتين لازم ومناسب لحال زكريا ومريم بسبب خلل، أو في عدم وجود أسباب الإنجاب، فاحتاجوا للتوكيد من قبل رب الأسباب. وأمّا على قراءة الفتح ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ "وهو معمول لباء محذوفة في الأصل أي بتبشير"[6]، فحذف الباء هنا يدلّ على عدم تقييد النداء بالبشرى، وأنّ النداء جزء من البشرى، فقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ والتعبير بالجمع إشعار بعظم منزلة زكريا عليه السلام.

---

[1]- **تفسير أبي السعود**، أبو السعود، ج١، ص٤٩٥.

[2]- **تفسير القرآن الحكيم**، محمد رشيد، ج٣، ص٢٩٧.

[3]- **البدور الزاهرة**، عبد الفتاح، ص٦٣.

[4]- **الموضح في وجوه القراءات وعللها**، نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، جدة، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، ١٩٩٣، ج١، ص٣٧٠.

[5]- **دلالات التراكيب دراسة بلاغية**، محمد محمد أبو موسى، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠٠٨، ط٤، ص٣٩.

[6]- **البحر المحيط**، أبو حيان، ج٢، ص٤٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما انه لو أظهر حرف الجر هُنا (بأن الله يبشرك) أدّى إلى تكرار هذا الصوت تكراراً يسبب ثقل النطق المنبئ بتراخي حصول البشرى، فحذفه دليل على سرعة وقوع البشرى عقب الدّعاء[1].

وتجد الباحثة أن البِشارة في الآية الأولى ارتبطت بنداء الملائكة ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، وفي الآية الثانية ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾؛ حيث أشارت الآية الأولى إلى أن المقام كان مقام صلاة ودعاء ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾؛ فكان زكريا عليه السلام مستغرقا في دعائه وصلاته، يحتاج إلى تنبيه، فكان النداء ببشارته. وأمّا بشارة مريم عليها السلام فكانت جزءا من حديث الملائكة معها "إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك... يا مريم اقنتي لربك.."، فلم تكن محتاجة إلى النداء، وإنما فُصِلَتْ بشارتها عن باقي الكلام بالقول.

إضافة إلى التناسب بين حال المبشَّر وطبيعة البشرى، فبشارة زكريا عليه السلام كانت بعد دعاء ونداء، فكان نداء الملائكة له من جنس عمله، بينما مريم عليها السلام لم تكن تنتظر ولداً أو تتمناه؛ لعدم وجود الأسباب، ولكنها بُشّرَتْ جزاء صلاحها.

ومن الملاحظ أن الصيغة الصرفية هنا جاءت على هيئة المضارع، من الفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف (بشّر) على القراءة الأولى، ومن الفعل الثلاثي المجرد على القراءة الثانية. وأول ما ستتناوله الباحثة هنا هو دلالة ياء المضارعة، حيث قيل فيها: "بأنها إنّما ذكرت بسطاً وتمهيدا للحكم الذي سيأتي بعدها"[2].

---

[1]- ينظر: **نزع الخافض في الدرس النحوي**، حسين بن علوي بن سالم، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، ١٤٢٥هـ، ص٥٦.

[2]- **حركة حروف المضارعة**، عبد الله بن ناصر القرني، بحث منشور، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، عدد ١١٩، ١٤٢٣هـ.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وأشار بعض أهل اللغة إلى أنّ الزيادة المنبئة عن هذا الحرف تدل على "أنّ الفعل لم يحصل بعد لفاعله، وأنّ بينه وبين تحصيله جزءاً من الزمان، فكان الحرف الزائد السابق للفظ الفعل مشيراً في اللسان إلى ذلك الجزء من الزمان"[1].

وهذا من أحسن ما قيل في دلالة ياء المضارعة، فقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ يوجب فترة زمنية بين البِشارة بالقول وتنفيذها، خصوصًا أنها بشارة بالولد، والسياق هو الذي حدّد هذه الدّلالة.

ومن أهم المعاني التي يدل عليها الفعل المضعّف التكثير، وهذا المعنى يتلاءم مع السياق؛ إذ جاءت البشرى مكثفة بدليل أنّها ليست مجرد البشرى بولادة يحيى، بل بولادته، وأنّه سيكون سيّداً ونبيّاً. فهي ليست بشارة واحدة، وكذلك في شان عيسى عليه السلام (يبشرك بكلمة منه... وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين). إضافة إلى ما تدل عليه هذه الهيئة الصرفية من تحويل في حال زكريا عليه السلام قبل الولد من الحزن إلى حالة السرور بعد البشرى.

وأمّا صيغة المضارعة التي جاء عليها الفعل؛ فكان من المُمْكِن القول: (وبشّر الله زكريا) ولكن الله عز وجل أرادها بشرى حيّة في مشهد حيّ يستحضره القارئ في المحراب وهو يصلي. وأمّا صيغة القراءة الأخرى (يبشرك) فهي من الفعل (بشر). "وصيغة (بشّر يبشُر فَعَلَ يفعُل) إحدى الصيغ الدالة على المفاخرة"[2].

وقد أكرم الله زكريا بنقل البِشارة منه سبحانه إلى عبده زكريا لا من غيره، فنسبة البشرى إلى الله عز وجل لها مزيد من التكريم في حق زكريا، فالمبشِّر ليس أحداً من الخَلْقِ بل هو ربّ الخلق، فكانت للبشرى ميزة أخرى فوق ميزاتها.

---

[1]- المصدر السابق.

[2]- **معاني الزيادة في الفعل الثلاثي في اللغة العربية**، حنان إسماعيل عمايرة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرون، العدد الثاني، ص٢٩٥- ص٣٢٦ يونيو ٢٠١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واختلفت القراءات في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾؛ حيث وردت قراءة أُخرى للفعل (فنادتهُ) بالتذكير والإفراد، (فناداه) لحمزة والكسائي[1]. وقد ورد جمع الملائكة في القرآن بالتذكير والتأنيث، حيث قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد:٢٣]، وقوله تعالى: "(فناداه الملائكة)، فهو كقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف ٣٠]"[2].

واختلف المفسرون بناءً على ذلك هل المقصود جماعة من الملائكة أم هو جبريل باعتبار اختصاصه بخطاب الرّسل، وتذهب الباحثة إلى ما ذهب إليه الطبري وهو ظاهر اللفظ والنص بأنّ الملائكة جمعٌ على الحقيقة مع عدم انتفاء احتمال المعنى لجبريل؛ فلا يمتنع أن يكون المراد جبريل[3]، ولكن نحتاج إلى دليل يقيني صريح، بأنّ جبريل هو الملك الوحيد الموكّل بمخاطبة الأنبياء. والأليق بعظم البِشارة ووضعيّة الصلاة في المحراب هو أن يكون النداء من جَمْعٍ من الملائكة.

ثانيا: يَسْتَبْشِرُونَ

وقد تناولتُ تحت هذه الصيغة عددا من الآيات:

١. قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [ال عمران: ١٧٠].

٢. قال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [ال عمران ١٧١].

---

[1]- ينظر: **البدور الزاهرة**، عبد الفتاح، ص٦٤.

[2]- **الحجّة للقرّاء السبعة**، أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاتي، بيروت، دار المأمون للتراث، ج٣، ص٣٨.

[3]- ينظر: **تفسير الطبري**، الطبري، ج٥، ص٣٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يستبشرون بالّذين لم يلحقوا بهم: أي يسرّون بإخوانهم الّذين فارقوهم وهم أحياء في الدُنيا على مناهجهم من الإيمان والجهاد[1]. وقال أبو السعود: "يستبشرون بما تبيّن لهم من حُسن حال إخوانهم الّذين تركوهم، وهو أنّهم عند قتلهم يفوزون بحياة أبديّة لا يكدّرها خوف، ولا وقوع محذور، ولا حزن على فوات مطلوب"[2]. وذكر ابن عاشور بأنّ في "الآية بشارة لأصحاب أحد بأنّهم لا تلحقهم نكبة بعد ذلك اليوم"[3].

وأمّا معنى ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ في الآية الثانية، فقد اختلف فيها المفسّرون على أوجه: قال الزمخشري: "وكرّر يستبشرون ليُعلّق به ما هو بيان لقوله: ﴿أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من ذكر النعمة والفضل"[4]. ورأى الشوكاني بأنّ يستبشرون الثانية جاءت "لتأكيد الأولى، ولبيان أنّ الاستبشار ليس بمجرّد عدم الخوف والحزن، بل به وبنعمة الله وفضله"[5]. ثمّ ذكر أنّ الاستبشار الأوّل متعلّق بحال إخوانهم، والاستبشار الثاني متعلّق بحال أنفسهم[6].

وما تراه الباحثة أنّ الاستبشار الأوّل لا يختلف عن الاستبشار الثاني، وفي ذات الوقت ليس تكراراً له، بل هو تصويرٌ لذلك الاستبشار من عدّة جوانب، لتكتمل صورته ويتم حُسنه. فلمّا كانت الآية تلي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨]، فكأن آية الاستبشار جاءت تردّ عليهم، فهم ظنّوا أن قتلهم خسارةٌ، فها هم أحياء عند ربهم، ويتمنّون من شدّة ما وجدوا من حُسن الشهادة انضمام إخوانهم الّذين لم يلحقوا بهم، فلا يوجد ما يدعوهم للنّدم على القتال؛ ولذلك لم يكتف القرآن بتصوير سرورهم بل زاد على السّرور بالاستبشار، ثم جاء في

---

[1]- ينظر: **الكشاف**، الزمخشري، ج١، ص٦٥٨.

[2]- **تفسير أبي السعود**، ج١، ص٥٩٩.

[3]- **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج٤، ص١٦٧.

[4]- **الكشاف**، الزمخشري، ج١، ص٦٥٩.

[5]- **فتح القدير**، الشوكاني، ج١، ص٦٤٨.

[6]- ينظر: المصدر السابق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السّياق مرة أخرى ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾، وهو تنكير يشير لفخامة هذه النعمة[1]، فتكون دفعاً للّذين لم يلحقوا أن يحرصوا على الجهاد والشهادة؛ قال محمد رشيد رضا: "إنّما قال ﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ للدّلالة على أنهم وراءهم يقتفون أثرهم، ويحذون حَذْوَهم قَدَماً بِقَدم، فهو قيد فيه الخير والحث والترغيب والمدح والبِشارة، وهو من البلاغة بالمكان الذي لا يطاول"[2].

ولم يفصل سبحانه الاستبشار الثّاني عن الأوّل لبيان كمال الاستبشار بحيث إنّه احتوى كُلّ أشكال البُشرى وألوانها بما لا يدع مجالاً لأن تعطف عليه استبشاراً من نوع آخر. قال محمد رشيد رضا: "وتَرَكَ العطف لتنزيل الاستبشار الثاني منزلة الاستبشار الأوّل حتّى كأنّه هو"[3].

وصورة الاستبشار في الآية تُنبئ عن أرقى المستويات الروحيّة للشهداء بحيث أهّلهم هذا الارتقاء الروحي لنيل الشهادة، بأنّ أوّل شيء تذكّروه بعد مسرتهم باستشهادهم هو إخوانهم. فلم يُنسهم ذلك السرور وتلك النعمة، كما هو حال الناس في الدّنيا، أمر إخوانهم ومعاناتهم المستمرة مع أعدائهم، فتمنّوا في قرارة أنفسهم لو يخبرونهم بما لاقوا، فلا تستكين عزائمهم ولا تضعف، فحقّق الله لهم ما تمنّوا وأخبرهم على لسان نبيهم. قال الإمام الرازي: "الآية تدّل على أنّ استبشارهم بسعادة إخوانهم أتمّ من استبشارهم بسعادة أنفسهم؛ لأنّ الاستبشار الأوّل في الذكر هو بأحوال الإخوان، وهذا تنبيه من الله تعالى على أن فرح الإنسان بصلاح إخوانه.. يجب أن يكون أتم وأكمل من فرحته بصلاح أحوال نفسه"[4].

الحالة الإعرابية في الموضع الأوّل: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. حيث ورد فيها عدّة أوجه ذكرها السمين

---

[1]- ينظر: **تفسير أبي السعود**، أبو السعود، ج١، ص٦٠٠.

[2]- **تفسير القرآن الحكيم**، محمد رشيد، ج٤، ص٢٣٥.

[3]- المصدر السابق، ج٤، ص٢٣٧.

[4]- **تفسير الفخر الرازي**، الرازي، ج٩، ص٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحلبي، وأرى أنّ أولاها أن تكون "من باب عطف الفعل على الاسم لكون الفعل في تأويله، فيكون عطفاً على (فرحين) كأنّه قال: فرحين ومستبشرين ونظّروه بقوله تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩]...{وقيل إنّه} من باب عطف الفعل على الاسم؛ لأنّ الاسم في تأويل الفعل"[١].

ويُحتمل أن يكون مستأنفاً، أو يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي وهم يستبشرون[٢]. وقد علّلوا العطف على الرغم من اختلاف المعطوف عليه عن المعطوف بالهيئة الصرفيّة، فالأول اسم فاعل، والثاني فعل مضارع، بأنّ "اسم الفاعل يُشبه الفعل المضارع هنا"[٣]. وعلّق ابن عادل على ذلك بقوله: "لا ضرورة بنا إلى أن نجعله في محلّ رفع فعل مضارع -حتّى يُتأوّل الاسم به-، والفعل فرع فينبغي أن يُرد إليه"[٤].

والبلاغة تقتضي ألّا تُنزل الفعل منزلة الاسم، فالمغايرة بينهما ليست عبثيّة كما أن ورود العطف ليس عبثيّاً أيضاً. فأورد الفرح على هيئة الاسم إشارة إلى مكوثهم في هذا الفرح ولبثهم فيه، وعدم انقطاعه عنهم، وأمّا إيراد البِشارة على هيئة الفعل فهو تصويرٌ لحالتهم التي تحثّ الذين لم يلحقوا بهم، وكأنّ القارئ يرى استبشار أخيه الشهيد أمامه، ويرى بهيئته المستبشرة دعوة له لينضمّ إلى هذا الفضل.

ولإيثار هيئة الفعل المضارع في البشرى دلالة أخرى، وهي أنّ الخطاب القرآني ليس محدداً بأشخاص وأزمان، فالآيات، وإن نزلت في شأن الصّحابة، لكنّها تصلح لكل من يحتذي على طريقهم في الجهاد والشّهادة، فكُلّما استشهد فريق من المؤمنين كان حالهم هو الاستبشار بإخوانهم الّذين لم يلحقوا بهم، فتبقى دعوة مضمونها الحفز والتنشيط.

---

[١]- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، ج٣، ص٤٨٤.

[٢]- ينظر: المصدر السابق، ج٣، ص٤٨٥.

[٣]- السابق، ج٣، ص٤٨٤.

[٤]- **اللباب في علوم الكتاب**، عمر بن علي بن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، ج٦، ص٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما دلالة الصيغة الصرفية وارتباطها بالسّياق، فقد جاءت الصيغة الصرفيّة هُنا للبُشرى على هيئة المضارع (يستفعلون)، وتكلّم المفسّرون في هذه الصيغة ومنهم ابن عطية حيث قال: "وليست استفعل في هذا الموضع بمعنى طلب البِشارة، بل هي بمعنى استغنى الله واستمجد"[1].

وعلّق أبو حيّان على قول ابن عطية بقوله: "وأمّا قوله ليست بمعنى طلب البِشارة فصحيح، وأمّا قوله: بل هي بمعنى استغنى الله واستمجد...، فيعني أنّها تكون بمعنى الفعل المجرّد كاستغنى بمعنى غني، واستمجد بمعنى مجد، ونقل أنّه يُقال: بَشِرَ الرجل بكسر الشين، فيكون استبشر بمعناه، ولا يتعيّن هذا المعنى، بل يجوز أن يكون مطاوعاً لأفعل وهو الأظهر؛ أي أبشره الله فاستبشر كقولهم:... أراحه فاستراح... وإنّما كان هذا الأظهر هُنا؛ لأنّه من حيث المطاوعة يكون منفعلاً عن غيره، فحصلت له البُشرى بإبشار الله له بذلك"[2].

ولكنّ ترى الباحثة أنّ (استفعل) هُنا على بابها، فما أورد السياق هذه الهيئة الصرفية إلّا لما تحمله من معنى دقيق لا يؤديه غيرها، فإن كشفنا عنه، أو لم نكشف، ليس ذلك ممّا يدعو إلى الانصراف عن هذه الهيئة، وقد آثرها السياق القرآني.

ويمكن أن تكون على بابها من الطّلب[3] وخصوصاً في الموضع الأوّل: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾؛ بأن يكونوا قد طلبوا البشرى لإخوانهم، حيث إنّهم يعلمون أنّ إخوانهم يُقاتلون ويُعانون وينالهم من الأذى ما ينالهم، فطلبوا من الله عزّ وجلّ أن يُبشرهم بهذا الفضل الذي عاينوه بعد الشهادة تخفيفاً عنهم وتثبيتاً لعزائمهم.

---

[1]- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١، ج١، ص٥٤١.

[2]- **البحر المحيط**، أبو حيّان، ج٣، ص١١٩.

[3]- ينظر: **شذا العرف في فن الصرف**، أحمد بن محمد الحملاوي، الرياض، دار الكيان، ص٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن المعاني التي تنصرف إليها هذه الهيئة الصرفية هو الصيرورة[1]. فيُمكن أن تكون هذه الصيغة الصرفيّة إشارة إلى أنّ الله قد منَّ عليهم فنقل حالهم من القتال والأذى إلى حال السرور والبشرى.

وتأتي هذه الصيغة (يستبشرون) لتُظهر جمال السّياق بما فيها من إشارة لعُنصر التّجدد والحيويّة إزاء الصيغة المُثبّطة الدّاعية للنّدم والحسرة (لو أطاعونا ما قتلوا)، فيها دعوة للنظر إلى الماضي والوراء في مُقابل الدعوة لاستمرار الجهاد والشهادة.

٣. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الحجر: ٦٧]

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة لوط عليه السلام، فهي تتحدث عن قومه حينما أرسل الله إلى لوط الملائكة في صورة البشر، لإهلاك قومه، بسبب تمردهم على الحقّ، وإصرارهم على ما هم فيه من السوء، فعلم القوم بأن أضيافا في غاية الحسن والجمال نزلوا بيت لوط، فاستبشروا بهذا الخبر، طمعاً في ارتكاب الفاحشة مع ضيوف لوط[2].

وقد كان لوط على علم بما يرتكبه قومه من الفاحشة، فخشي أن يفضحوه مع ضيوفه، فعرض بناته عليهم للزواج بقوله: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١]، إلا إنهم رفضوا ذلك وأصروا على ارتكاب الفاحشة مع ضيوفه، فأنزل الله بهم العذاب بسبب إصرارهم، فهم في سكرتهم غارقون.

والتعبير بلفظ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ في الآية الكريمة تعبير مقصود، يدل على أن قوم لوط عندما وصلهم خبر ضيوف سيدنا لوط علت الفرحة والسرور وجوههم طالبين البشرى، فمن شدة فرحتهم بهذه الفاحشة ظهر السرور على وجوههم، لجمال ضيوف لوط.

---

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص٨٢.

[2]- ينظر: **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ج١٤، ص٢١٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فلم يقل الله تعالى أنهم يبشرون بعضهم، فنجد أنه زاد السين والتاء لتأكيد فرحتهم بالبشارة، ولوصف الفرحة التي بدت على وجوههم، وهذا يدل على مدى استغراقهم في هذه الفاحشة، وإصرارهم عليها.

وصيغت البشرى بصيغة الفعل المضارع لإفادة التجدد في الفرح، والفعل المضارع يقدم لنا هذا المشهد في صورة واضحة، حيث الفرح بادٍ على الوجوه، فاستحقوا العذاب بفعلتهم[1].

ثالثا: يُبَشِّرُهُمْ

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ(٢٢)﴾ [التوبة: ٢٠، ٢١،٢٢]

تبين هذه الآيات أفضلية المؤمنين المتصفين بالهجرة والجهاد على كل أحد، وعظم درجتهم عند الله تعالى. يقول الشوكاني: "وفي قوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ تشريف عظيم للمؤمنين"[2]. وقوله ﴿أَعْظَمُ﴾ هو تفضيل مطلق فالآخرون حبطت أعمالهم، فلا مفاضلة بينهم وبين المؤمنين المجاهدين[3].

فبعدما قدم هؤلاء المؤمنون من الهجرة والجهاد، جاءت البشارة لهم من عند ربهم، فبشروا بالرحمة والرضوان ودخول الجنات، يقول محمد رشيد رضا: "﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ في كتابه المنزل على لسان نبيه المرسل، ثم على لسان ملائكته عند الموت ﴿بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ أي: رحمة عظيمة خاصة

---

[1]- ينظر: **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج١٤، ص٦٦.

[2]- **فتح القدير**، الشوكاني، ج٢، ص٤٩٤.

[3]- ينظر: **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ج١٠، ص١٦١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من لدنه عز وجل ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ أي: نوع من الرضى التام الكامل الذي لا يشوبه ولا يعقبه سخط، يدل على هذا المعنى زيادة لفظ (رضوان) في المبنى على لفظ (رضى) مع تنكيره"[1].

ويدل مجيء الألفاظ المبشر بها نكرة، على أن هذه المبشرات فوق وصف الواصفين، وتصور المتصورين، فهي بشرى عظيمة لا حد لها، وذلك جزاء إيمانهم وتضحياتهم، وترك أوطانهم، فما قدموه كان أعظم ما عندهم، لذلك كانت البِشارة أعظم وأجل من ذلك[2].

وقد أسند التبشير إلى رب العزة، وهذا فيه تقريب لهؤلاء المجاهدين وبيان لمنزلتهم العظيمة عند الله، يقول أبو حيان: "وأسند التبشير إلى قوله: ﴿رَبُّهُمْ﴾، لما في ذلك من الإحسان إليهم بأن مالك أمرهم والناظر في مصالحهم هو الذي يبشرهم، فذلك على تحقيق عبوديتهم لربهم"[3]. وهذا يدل على عناية الله بهم. يقول ابن عاشور "وكون المسند إليه لفظ الرب، دون غيره مما يدل على الخالق سبحانه، إيماء إلى الرحمة بهم والعناية؛ لأن معنى الربوبية يرجع إلى تدبير المربوب والرفق به واللطف به، ولتحصل به الإضافة إلى ضميرهم إضافة تشريف"[4].

والناظر في الآية الكريمة يجد أن البشارات جاءت مرتبة وفق ما قدموه، فهم قدموا ثلاثا: (آمنوا بالله وهاجروا وجاهدوا)، فبشرهم الله بأعظم ثلاثة وهي: (الرحمة والرضوان والجنات)، يقول أبو حيان: "ولما كانت الأوصاف التي تحلوا بها وصاروا بها عبيده حقيقة هي ثلاثة: الإيمان، والهجرة، والجهاد بالمال والنفس، قوبلوا في التبشير بثلاثة: الرحمة، والرضوان، والجنات"[5]. فكان الجزاء من جنس العمل.

---

[1]- **تفسير المنار**، محمد رشيد رضا، ج١٠، ص٢٦٤.

[2]- ينظر: **فتح القدير**، الشوكاني، ج٢، ص٤٩٤.

[3]- **البحر المحيط**، أبو حيان، ج٥، ص٢٣.

[4]- **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، ج١٠، ص١٤٩.

[5]- **البحر المحيط**، ج٥، ص٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن خلال النظر في المبشرات تجد الباحثة أن هناك ترقياً وتدرجاً في ترتيبها، فبدأ بالرحمة، وتلاها الرضوان، وثم دخول الجنات، وفي هذا الترتيب غاية جمالية يبينها لنا أبو حيان بقوله: "فبدأ بالرحمة؛ لأنها الوصف الأعم الناشئ عنها تيسير الإيمان لهم، وثنى بالرضوان؛ لأنه الغاية من إحسان الرب لعبده وهو مقابل الجهاد؛ إذ هو بذل النفس والمال، وقدم على الجنات؛ لأن رضا الله عن العبد أفضل من إسكانهم الجنة"[1].

جاءت كلمة البِشارة بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث، فالصيغة الفعلية في هذا السياق دالة على تجدد الخيرات على المؤمنين، وإيثار الصيغة الفعلية في السياق دال على أن البشرى غير مختصة بالمخاطبين في الآية، فهي تدل على تجدد هذه البشارات لكل زمان ومكان، فكل من اتصف بهذه الصفات حريٌّ بأن يبشره الله بالخيرات، فكلٌّ من آمن بالله وهاجر وجاهد في سبيله يبشره الله برحمة منه ورضوان ودخول الجنات.

وقد جاءت البِشارة بصيغة المضارع الذي يدل على الحال، وهو يستخدم عادة في قص الأحداث، لأنه الأقدر على تقديم المشاهد في صورتها، وكأنها تحدث الآن، فأراد الله تعالى لهؤلاء المجاهدين أن تأتي بشراهم في صورة مشهد حي، لرفع معنوياتهم، ودفع الناس للجهاد في سبيل الله، وفي الفعل المضارع مباشرة في الخطاب، وتقريب للنفوس، وكأن رسالة البشارات هذه متجددة لكل من يقرأها، ولكل من يسمعها، وفي ذلك تعظيم لهذا الأمر، وتركيز على هذا الحدث. يقول ابن عاشور: "فإسناد التبشير إلى اسم الجلالة بصيغة المضارع، المفيد للتجدد، مؤذن بتعاقب الخيرات عليهم، وتجدد إدخال السرور بذلك لهم؛ لأن تجدد التبشير يؤذن بأن المبشّر به شيء لم يكن معلوماً للمبشَّر (بفتح الشين) وإلا لكان الإخبار به تحصيلا للحاصل"[2].

---

[1]- المصدر السابق، ج٥، ص٢٣.

[2]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٠، ص١٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والفعل المضارع (يبشرهم) مشتق من الفعل (بشّر) المضعف الدال على التكثير، وتأتي هذه الصيغة للدلالة على الصيرورة[1]، فكل هذه البشارات التي وعدها الله للمؤمنين في هذه الآية، تنقلهم من حال إلى حال، فهم يدخلون تحت رحمة ربهم، ويفوزون برضوان الله عليهم، ووعدهم الله بدخول الجنات، وأنهى الآية بما يدل على كثرة هذه الخيرات، بقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾، فما زال هناك كثير من الخيرات التي سينالها المجاهدون في سبيل الله.

وتلت هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، إذ تدل على أن هناك بشارات أخرى لم تذكرها الآيات، يقول ابن عاشور: "وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تذييل وتنويه بشأن المؤمنين المهاجرين المجاهدين؛ لأن مضمون هذه الجملة يعم مضمون ما قبلها وغيره، وفي هذا التذييل إفادة أنَّ ما ذُكِرَ من عظيم درجات المؤمنين المهاجرين المجاهدين هو بعض ما عند الله من الخيرات، فيحصل من ذلك الترغيب في الازدياد من الأعمال الصالحة ليزدادوا رفعة عند ربهم"[2].

وهذا ما تدل عليه صيغة (يبشرهم)، فهي تدل على المبالغة والتكثير، وهي تتناسب مع سياق الآية الكريمة، وذلك لكثرة البشارات التي وُعِدَ بها هؤلاء المجاهدون المهاجرون. فقد وظّف الله تعالى في هذه الآيات الكريمة السابقة الفعل المضارع الدال على التجدّد في حدوث الفعل، والذي يُقَدِّم المشهد في صورة مباشرة واقعية للقارئ والسامع، فأراد الله للبشرى في هذه الآيات أن تأتي بصيغة الاستمرارية، وبصورة مليئة بالحياة والواقعية، ليعيش القارئ هذه الآيات وكأنها تصور المشاهِد.

---

[1]- ينظر: **أبنية الأفعال في القرآن-دراسة لغوية قرآنية-**، نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة، ١٩٨٩، ص٤٣.

[2]- **التحرير والتنوير**، ج١٠، ص١٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث

البشرى بصيغة الأمر

أولا: وَبَشِّرِ

قال تعالى:﴿ وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة ٢٥].

قال الطبري: "أما قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾، فإنه يعني: أخبرهم. والبِشارة أصلها الخبر بما يُسرّ به المُخبر، إذا كان سابقاً به كل مُخبر سواه"[١].

يرى الزمخشري بأنّ المأمور في هذه الآية "يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كلّ أحد"[٢]. كما رأى الزمخشري أنّ القول بعموم الخطاب "أحسن وأجزل؛ لأنّه يؤذن بأنّ الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشّر به كل من قدر على البِشارة"[٣].

بينما رجّح أبو حيان أنّ المأمور بالتبشير هو "النبي صلى الله عليه وسلم لخصوصيته بالبِشارة أفخم وأجزل، وكأنّه ما اتكل على أن يبشر المؤمنين كل سامع بل نَصّ على أعظمهم وأصدقهم ليكون ذلك أوثق عندهم وأقطع في الإخبار بهذه البِشارة العظيمة؛ إذ تبشيره صلّى الله عليه وسلم تبشير من الله تعالى"[٤].

---

[١]- **جامع البيان في تأويل القرآن**، الطبري، ج١، ص٤٠٦.

[٢]- **الكشاف**، الزمخشري، ج١، ص٢٢٦.

[٣]- المصدر السابق، ج١، ص٢٢٦-٢٢٨.

[٤]- **البحر المحيط**، أبو حيان، ج١، ص٢٥٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وترى الباحثة أنّ الخطاب يكون في الآية أساساً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكثرة ارتباط البِشارة والنذارة بذكره ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. وتبعاً لكُلّ من يصلح له الخطاب من أمّته.

أمّا مفعول البشرى، فالفعل (بشّر) هُنا يتعدّى لمفعولين أحدهما بنفسه، والآخر بإسقاط حرف الجر؛ المفعول الأول هو ﴿الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فهي الفئة التي أهّلها الله سبحانه وتعالى لاستحقاق البشرى، وهم الذين جمعوا بين الإيمان والعمل. والثاني قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ هو موضع هذا المفعول[1].

قال أبو السعود: "وتعليق التبشير بالموصول للإشعار بأنّه معلّل بما في حيّز الصّلة من الإيمان والعمل الصّالح، لكن لا لذاتهما، فإنّهما لا يكافئان النّعم السابقة فضلاً من أن يقتضيا ثواباً فيما يستقبل"[2].

لقد جاءت جُملة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ﴾ مستهلّة بحرف العطف وهو "عطف جملة وصف ثواب المُطيعين على جُملة وصف عقاب العاصين، من دون نظرٍ إلى ما اشتمل عليه الوصفان من الأفراد المتخالفة خبراً وإنشاءً"[3]، بل إنّ تغيير السّبك بين ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين يُشير إلى كمال التّباين بين حالي الفريقين[4]. فلم "يخاطب المؤمنون كما خوطِب الكفرة ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، تفخيماً لشأنهم وإيذاناً تاماً بأنّهم أحقاء بأن يُبشّروا ويُهنّئوا بما أُعد لهم"[5].

---

[1]- ينظر: المصدر السابق، ج١، ص٢٥٤.

[2]- **تفسير أبي السعود**، أبو السعود، ج١، ص١٣٩.

[3]- **فتح القدير**، الشوكاني، ج١، ص١٤٣.

[4]- ينظر: **تفسير أبي السعود**، أبو السعود، ج١، ص١٣٩.

[5]- **روح المعاني في تفسير القرآن**، الألوسي، ج١، ص٢٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتعبير عن الإيمان بالفعل الماضي في مقابل التعبير عن الكفر باسم الفاعل، دلّ على تحقّق الإيمان في نفوسهم قولاً وعملاً، بينما يدل اسم الفاعل في حقّ الكافرين على لبوثهم، ومكثهم على هذا الكُفر.

وأمّا إيثار الفعل في شأن البُشرى على الاسم كما كان في مواطن أُخرى، فله دلالته؛ حيث كانت هذه الآية الكريمة بعد جُملة من الآيات التي تحدّثت عن شأن الكُفّار وإفسادهم وضلالهم... وقد كانت لهجة الآيات شديدة الوقع بما يتلاءم مع بجاحتهم وضلالهم (ألا إنهم هم المفسدون..، الله يستهزئ بهم...، وتركهم في ظلمات لا يبصرون..، والله محيط بالكافرين..، يكاد البرق يخطف أبصارهم..، وقودها الناس والحجارة..).

فالقارئ يستطيع أن يلمح تلك الشدّة في الخطاب.. لذلك يأتي بعد هذا التقريع والوعيد التعبير بفعل الأمر "وبشّر" ليكون فيه مزيد من الزجر للكافرين لما حرموا أنفسهم بكُفرهم وضلالهم من هذه البشرى، وما يدعم القول بأنّ لظلال هذا الفعل أثراً في تقريعهم أنّ الآيات التالية لهذه الآية متلاحمة مع السابقة من حيث ورودها في شأن الكافرين، وأنّ ذلك الوقع الشديد للآيات لم يتبدّل بعد آية البُشرى.

إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها....

الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه..... ويفسدون في الأرض..

كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً....

وورود الفعل مُشدّداً يُلاءم وقع الآيات ويتلاءم مع دلالتها الصوتية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن ناحية أُخرى ورد الفعل (بشّر) على وزن صرفيّ يدلُّ على التكثير، وقد أشار أبو حيّان إلى أنّ هذا التكثير يكون من جهة المفاعيل[1]، ولذا ترى الباحثة أثر هذا التكثير في أنّ البُشرى لم تكن بالجنّات مجرّدة، بل بجنّات تجري من تحتها الأنهار.. كُلما رُزقوا منها من ثمرة.. ولهم فيها أزواج مطهّرة، فهو تكثير في مجال الثّواب والجزاء.

ويُمكن أن يكون هذا التكثير من جهة الفعل؛ لأنّ هيئته الصرفيّة يحتاج تحقق الفعل فيها إلى تكرار وإعادة حتّى يظهر معنى التّصنيف في الفعل[2]. وممّا يقتضيه هذا التضعيف في (بشّر) زيادة في الجهد المبذول[3]، فإن كان ذلك التبشير مخصوصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو جُزءٌ من مهمّته الشّاقة في تبليغ الرّسالة، وإن كان موجّهاً لكُل من يصلح له الخطاب، فتُصبح البشرى هُنا مسؤولية دينية مجتمعيّة مرتبطة بأهداف الدعوة.

ومن المعاني التي تدلّ عليها هذه الهيئة الصرفية النقل من حال إلى حال، كقولك: فرّحته؛ أي نقلته إلى حال الفرح[4]. ويمكن أن يتناسب هذا المعنى مع طبيعة هذه البُشرى التي تنقل الفئة المؤمنة إلى حالة الاستبشار لانتقالها من الكفر إلى الإيمان.

ثانيا: فَبَشِّرْهُمْ

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢].

---

[1]- ينظر: **البحر المحيط**، أبو حيّان، ج١، ص٢٥٤.

[2]- ينظر: **القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللّغة العربية في القاهرة**، خالد بن سعود بن فارس، السعودية، دار التدمريّة، ٢٠٠٢م، ص٧٢.

[3]- ينظر: المصدر السابق، ص٧٢.

[4]- ينظر: السابق، ص٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يشير الله تعالى في هذه الآيات إلى الكافرين بما ينزل من الحق، وإلى أهل الكتاب الذين كانوا يقتلون الأنبياء، وكانوا يحاولون قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا عصمة الله له وحمايته. وقد أشير إلى القتل بصيغة المضارع الدالة على الاستقبال ليبين لنا صورة هذا القتل الشنيع في مشهد حيّ، وكانوا يقتلون الذين يأمرون بالعدل.

بعد ذكر هذه الجرائم الثلاث يخبرنا الله تعالى عما استحقه هؤلاء من الوعيد؛ إذ يقول فيهم: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، والوعيد الثاني يقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. وقد دخلت الفاء على فعل البشرى لتضمنها معنى الجزاء فهم استحقوا هذا العذاب لكفرهم وقتلهم النبيين[1].

والناظر في الآية الكريمة يجد أنّ التبشير جاء مخالفاً لحقيقته، فأصل التبشير الإخبار بما يسر، كتبشير المؤمنين بالجنة، وتبشير المجاهدين بالشهادة، فهذا من باب التهكم والسخرية، يقول الشعراوي معلّلا استخدام البشرى لغير الخبر السار: "إنّ علينا أنْ نعرف أنه ساعة نسمع كلمة (أَبْشِرْ) فإن النفس تتفتح لاستقبال خَبَرٍ يَسُرُّ، وعندما تستعد النفس بالسرور وانبساط الأسارير إلى أن تسمع شيئا حسنا يأتي قول: أبشر بعذاب أليم، ماذا يحدث؟ الذي يحدث هو انقباض مفاجئ أليم ابتداء مطمع (فبشرهم) وانتهاء مُيْئِس (بعذاب أليم) وهنا يكون الإحساس بالمصيبة أشد؛ لأن الحق لو أنذرهم وأوعدهم من أول الأمر بدون أن يقول: (فبشرهم) لكان وقوع الخبر المؤلم هيّناً"[2].

وقد استخدم السياق القرآني الصيغة الفعلية في التبشير لبيان أن البِشارة بالعذاب متجددة لكل من قام بهذه الأفعال التي أشارت إليها الآية الكريمة، ففي الفعل مزيد من الزجر، ويزيد هذا

---

[1]- ينظر: **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٩٩٨، ج١، ص٢٤٤.

[2]- **تفسير الشعراوي**، الشعراوي، ج٣، ١٣٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزجر استخدام فعل الأمر، فالأمر فيه من التوبيخ والزجر ما يدفع السامع والقارئ إلى الابتعاد عن هذه الأفعال الشنيعة.

وصيغة الأمر تدل على النقل من حال إلى حال، فالأصل أن تنقلهم إلى حال الفرح، إلا أن التبشير في هذا السياق على عكس ذلك؛ فهو ينقل حال الذين تدور حولهم الآية إلى الخوف، لما فيها من الزجر. واستخدم السياق الفعل الدال على المبالغة والتكثير، فهذا كله يناسب حال هؤلاء المشار إليهم في سياق الآية الكريمة.

ثالثا: فاستَبْشِرُوا

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١- ١١٢].

يخبر الله تعالى عباده المؤمنين أنه اشترى منهم أنفسهم وأموالهم في مقابل أن تكون الجنة ثمناً لهم جزاء ما يرضونه من هذه البيعة، فالبائع هو المؤمن، والمشتري هو الله، في مقابل الثمن هو الجنة. ولكن أليس من العجيب أن يشتري المالك ما يملك، والله هو مالك الأنفس والأموال؟!، يقول سيد قطب: "ومن رحمة الله أن جعل للصفقة ثمناً، وإلا فهو واهب الأنفس والأموال، وهو مالك الأنفس والأموال. ولكنه كَرَّمَ هذا الإنسان فجعله مَريدا، وكَرّمَهُ فجعل له أن يعقد العقود

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويمضيها -حتى مع اللّه-، وكَرَّمَهُ فقيده بعقوده وعهوده وجعل وفاءه بها مقياس إنسانيته الكريمة، ونقضه لها هو مقياس ارتكاسه إلى عالم البهيمة"[1].

فمن رحمته سبحانه وتعالى أنه جعل الإنسان مُخَيّراً في حياته، يعقد العقود مع رب العباد، ويحصل في مقابل ذلك على ثمن غير موجود في وقته، وهذا يدل على شدة إيمان العبد وتمسكه بإرضاء المشتري؛ علم بأمانته، وقدرته على العطاء، ورحمته بمن آمن به، وكَرَّمَهُ الذي لا نهاية له، ولا يوجد أوفى من العزيز الجبار.

تحصل هذه البيعة بمجرد الدخول إلى الإسلام والإيمان بالله تعالى، يقول سيد قطب: "إن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين... اللّه -سبحانه- فيها هو المشتري والمؤمن فيها هو البائع. فهي بيعة مع اللّه لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه ولا في ماله يحتجزه دون اللّه سبحانه، ودون الجهاد في سبيله، لتكون كلمة اللّه هي العليا؛ وليكون الدين كله للّه. فقد باع المؤمن للّه في تلك الصفقة نفسه وماله مقابل ثمن محدد معلوم، هو الجنة: وهو ثمن لا تعدله السلعة، ولكنه فضل اللّه ومنّه"[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾، بالفعل الماضي تدل على أن هذه البيعة تمت وانتهت، يقول سيد قطب: "لقد أخذوها صفقة ماضية نافذة بين متبايعين انتهى أمرها، وأمضي عقدها، ولم يعد إلى مرد من سبيل،... فالصفقة ماضية لا رجعة فيها ولا خيار والجنة : ثمن مقبوض لا موعود! أليس الوعد من اللّه؟ أليس اللّه هو المشتري؟ أليس هو الذي وعد الثمن. وعدا قديما في كل كتبه"[3].

---

[1]- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ج١١، ص١٧١٦.

[2]- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ج١١، ص١٧١٤.

[3]- المصدر السابق، ج١١، ص١٧١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مع أن الإنسان نهايته هي الفناء، والبقاء لله عز وجل، إلا أن في هذه البيعة امتحان للإيمان، وتطهير للنفوس، وتصديق بالله تعالى، وكلٌ على حسب إيمانه، فهذه البيعة تحتاج إلى التصديق والتحقيق. فمن بايع بهذه البيعة فإنه من المؤمنين، ومن رفض هذه البيعة فإنه لم يصل إلى درجة الإيمان المطلق بالله تعالى.

يؤكد الله تعالى ما وعده الله للمؤمنين بقوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾، يقول ابن كثير: "وقوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ تأكيداً لهذا الوعد، وإخباراً بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة، وأنزله على رسله في كتبه الكبار، وهي ثلاثة: التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[1].

فهذا الوعد الكريم عهده الله للمؤمنين في ثلاثة كتب وهي: التوراة والإنجيل والقرآن، وفي هذا تعظيم للعهد المقطوع ، وبيان لقيمة من آمن بالله وسلم نفسه وماله له. وكأن هذه البيعة من أعظم ما يقدمه المؤمن لربه.

وينهي الله هذه البيعة بقوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، فهو بيع ناجح لا محالة، وأجره موجود عند رب العزة، فيخبر الله المؤمنين بأن يستبشروا ويفرحوا لهذا البيع. والفاء هنا تفيد الترتيب، فيأتي الاستبشار بعد أن يبيع المؤمنين أنفسهم وأموالهم لله تعالى[2].

تجد الباحثة في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب، فالله تعالى يوجه الخطاب إلى هؤلاء الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى، لتكريمهم، "ولزيادة التشريف

---

[1] – **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج٤، ص٢١٨.

[2] – ينظر: **فتح القدير**، الشوكاني، ج٢، ص٥٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والاستبشار إظهارا لسرورهم"[1]. فالله تعالى تحدث عن البيعة بصيغة الماضي، لتدل على أن هذه البيعة تَمَّت وانتهت، ثم انتقل من الماضي إلى صيغة الأمر، لتكريم المؤمنين بتوجيه الخطاب إليهم، فيطلب الله منهم أن يستبشروا بنجاح هذه البيعة، فهم أعطوا الله كل ما عندهم، وهذا من كمال الإيمان وتمامه.

وقد استخدم الله تعالى الصيغة الفعلية للبشارة، ولم يستخدم الصيغة الاسمية، للدلالة على أن هذه التجارة متجددة لكل مؤمن على الإطلاق، غير محددة بمن نزلت لأجلهم الآية، فهي صفقة تتم لكل من آمن بالله تعالى، وهي غير محددةٍ بزمان ومكان، فكل من يُقَدِّمُ نفسه وماله لله تعالى، فليستبشر بما قدم، فالجنة ستكون ثمناً لتجارته. ويؤكد الله تعالى هذه البِشارة باسم الإشارة ذلك بقوله: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وهو للتنبيه، فهو فوز لا مثيل له.

ثم يصف الله المؤمنين الذين بايعوا أنفسهم، والذين لهم البِشارة من الله تعالى بدخول الجنات، بقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ...﴾، فهذه هي صفات المؤمنين الذين تَمَّتْ معهم الصفقة، فالآيتان مرتبطتان، فلا يدخل في هذه البيعة إلا من اتصف بهذه الصفات، وفي نهاية وصف هؤلاء المؤمنين، يأمر الله رسوله أنْ يُبَشّر المؤمنين بالخير من الله.

فالبِشارة الأولى كانت بعد الصفقة، وأما البِشارة الثانية التي جاءت مؤكدة للأولى فجاءت بعد أن بَيّنَ الله صفات من يبايع الله تعالى، فهي صفقة لا تتم إلى بهذه الصفات، وكأنه بهذه البِشارة الثانية التي أمر رسوله بها يبين اكتمال البيعة وتمامها. ويبين الله أن الإيمان شامل لكل ما سبق[2]، بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

[1]- **روح المعاني، الألوسي**، ج١١، ص٢٩.

[2]- ينظر: **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج٤، ص٢١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول السعدي: "لم يذكر ما يبشرهم به، ليَعُمَّ جميع ما رُتِّبَ على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبِشارة متناولة لكل مؤمن. وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيمانهم، قوةً، وضعفاً، وعملاً بمقتضاه"[1].

من خلال تدبر النص القرآني، نجد أنَّ القرآن الكريم ينهج في توظيفه للأفعال نهجاً فريداً؛ إذ يوظف هذه الأفعال بكل تشكيلاتها في سياقات متنوعة، تتلاءم وهذه السياقات، هذا بالرغم من أنها جميعا تجتمع في جذر واحد، إلا أنَّ السياق وغيره من العوامل الداخلة والخارجة في النص هي الحاكم في هذا التنوع، لذا حاولت الباحثة الوقوف على التنوع الدلالي لهذه الأفعال لإيجاد الفروق الدقيقة بينها.

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

---

[1]- تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٥٣.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الّذي أعانني على بلوغ خاتمة البحث بعد أن قمت بالربط بين ألفاظ البُشرى وبين سياقها، وصلت إلى النتائج التالية:

١- من الممكن أن تحمل كل صيغة صرفيّة في البُشرى عدة دلالات يتم بها المعنى من جوانبه.

٢- تقديم البِشارة على الإنذار هو الأصل، وما ورد على غير الأصل دلّ على انحراف نفسيّة الفئة المقصودة بالذكر دفع إلى خلاف الأصل.

٣- تمتلك صيغة المضارع كفاية تصويرية عالية من خلال إلغاء الفترة الزمانية بين زمن الحدث وزمن الكلام، فهي تدلّ على إرادة استحضار الصورة والهيئة الواردة في شأنها؛ إذ تدل على الحال، وهي تستخدم عادة في قص الأحداث؛ لأنها الأقدر على تقديم المشاهد في صورتها، فضلاً عن دلالتها على تكرار الحدث وتجدده، ودلالتها على الاستمرار والديمومة. وفي ضوء هذه الخصائص الدلالية للفعل المضارع نستطيع أن نفسر ظاهرة شيوع صورة العدول إلى صيغة المضارع في الخطاب القرآني.

٤- تدل صيغة الأمر على الإلزام والوجوب، وقد وظفها السياق القرآني مرة لتدل على إلزام الرسول صلى الله عليه وسلم بإبلاغ البشرى للناس لتكون جزءاً من رسالته وبعثته، ومرة في تبشير الكافرين، لما في صيغة الأمر من دلالة الزجر والتوبيخ.

٥- تشير صيغة الماضي إلى وقوع الحدث في الزمن الماضي، ولكنها لا تدل على تكرار حدوث الفعل كما في المضارع الذي يدل على تكرار وقوع الحدث واستمراره. كما تحمل صيغة الماضي دلالة التوكيد، فهي تدل على وقوع الحدث قطعاً دون شك، فهي لذلك

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يستخدمها القرآن في تجسيد الأحداث المستقبلية التي تكون مظنة الإنكار والشك لا سيما مواقف القيامة وأهوالها.

٦- نلحظ من خلال تأمل معاني البشرى ومشتقاتها، وتتبع دلالتها أهمية السياق اللغوي الذي يبرز لنا الدلالات المختلفة للكلمة الواحدة.

٧- إن معنى الكلمة يتحدد بعدة عناصر: مادة الكلمة، وصيغة الكلمة الصرفية، والسياق الذي وردت فيه، وجميع العوامل الخارجية الداخلية في النص.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصادر والمراجع

أبنية الأفعال – دراسة لغوية قرآنية–، نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة، ١٩٨٩.

أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، (دول)، ج١.

استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، بيروت، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤، ط١.

أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٨.

اسم الفاعل في القرآن الكريم –دراسة نحوية صرفيّة دلالية في ضوء المنهج الوصفي–، سمير محمد عزيز، رسالة ماجستير، نابلس، جامعة النجاح الوطنيّة، ٢٠٠٤م.

الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، د.ت.

الألفاظ والدلالة (في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لفيروز آبادي)، مصطفى محمد عبد المجيد خضر، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية، ٢٠١٠.

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، بيروت، المكتبة العصرية، ج ٢.

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرى، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، بيروت، دار الكتاب العربي.

البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، عثمان بن طالب، ضمن أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، سلسلة اللسانيات، ع (٦)، تونس الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، المطبعة العصرية– تونس، ١٩٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البشرى في القرآن الكريم دراسة موضوعية، نزار عطا الله أحمد صالح، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٢.

تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية، ج١٠، مادة (بشر).

التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤، ج٩.

التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٥.

التداولية اليوم –علم جديد في التواصل–، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٣.

التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، عمّان، دار عمّار، ٢٠٠٦، ط٤.

التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨، ط٣.

تفسير أبي السعود –إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم–، أبو السعود، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ج١.

تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣، ط١، ج١.

تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، القاهرة، أخبار اليوم، ١٩٩١، ج١٣.

تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر، ١٩٨١، ط١، ج٢٠.

تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، القاهرة، دار المنار، ١٩٤٧، ج١.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ١٩٩٩، ج١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تفسير القرآن العظيم، للإمام الطبراني، تحقيق: هشام البدراني، الأردن، دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٨، ج٢.

تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ١٩٩٨، ج١.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١، ط١، ج١١.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠، ج١.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، ٢٠٠١، ج٢.

جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧، ط١، ج١.

الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق و شرح: عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ١٩٧١.

الحجّة للقرّاء السبعة، أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاتي، بيروت، دار المأمون للتراث، ج٣.

حركة حروف المضارعة، عبد الله بن ناصر القرني، بحث منشور، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، عدد ١١٩، ١٤٢٣هـ.

خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠٠٩، ط٨.

الخَصائص، ابن جني، تَحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ت، د.ط، ج٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دراسات في اللسانيات العربية، عبد الحميد مصطفى السيد، عمان، دار حامد، ٢٠٠٤

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، ج٢.

الدعاء في القرآن الكريم، مادح محمد عمر، بيروت، دار المعرفة، ٢٠١٠، ط١.

دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠٠٨، ط٤.

دلالة البنية الصرفية في السور القصار الراية، جلال الدين يوسف العيداني، عمان، ٢٠١٠م، ط١.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٢ وج٣.

سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ج٢، حديث رقم ٣٣٢٣.

شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي، الرياض، دار الكيان.

شواهد في الإعجاز القرآني-دراسة لغوية ودلالية-، عودة أبو عودة، عمان، دار آفاق للنشر، ١٩٩٦.

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، القاهرة، المكتبة السلفية، ١٩١٠.

الصحاح -تاج اللغة وصحاح العربية-، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠، ط٤، ج٢.

علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧، ط٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عندما نتواصل نغير، عبد السلام عشير، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار وفاء، ج١.

في ظلال القران، سيد قطب، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٣، ط٣٢، ج١.

القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللّغة العربية في القاهرة، خالد بن سعود بن فارس، السعودية، دار التدمريّة، ٢٠٠٢م.

الكتاب، سيبويه، تحقيق :عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨، ط٣، ج١.

كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٦.

الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨، ج١.

الكليات، أبو البقاء الحسيني اللغوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨، ط٢.

اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، ج٦، ص٥١.

لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، ج١، مادة (بشر).

اللسانيات –المجال، والوظيفة، والمنهج–، سمير شريف استيتية، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨، ط٢.

اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، المغرب، دار الثقافة، ١٩٩٤.

لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل صالح السامرائي، عمان، دار عمار، ٢٠١٢، ط٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ما ينصرف وما لا ينصرف، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج، تحقيق: هدى محمود قراعة، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧١.

المبني للمجهول في القرآن الكريم "بحث في النحو والدلالة"، زاهر محمد حنني، فلسطين، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد (٣)، العدد (٢)، ٢٠٠٧.

المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، صالح بن عبد الله الشثري، المدينة المنورة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانه، القاهرة، دار نهضة مصر، ط٢، ج٢.

مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت، دار العلوم، ٢٠٠٥، ج١.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح ابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، لجنة إحياء التراث، ١٩٩٤م، ج٢.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١، ج١.

المُخصّص، ابن سيده علي بن إسماعيل، تحقيق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦، ج٤.

معاني الأبنية العربية، فاضل صالح السامرائي، عمان ، دار عمار، ٢٠٠٨، ط٢.

معاني الزيادة في الفعل الثلاثي في اللغة العربية، حنان إسماعيل عمايرة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرون، العدد الثاني، يونيو ٢٠١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج١، مادة (بشر).

المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، بيروت، دار المعرفة.

ملاك التأويل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: محمود كامل أحمد، بيروت، دار النهضة العربية، ج٢.

المنير في أحكام التجويد، إعداد لجنة التلاوة في جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، الجمعية، ٢٠٠١.

الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، جدة، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، ١٩٩٣، جـ١.

النحو الوافي، عباس حسن، مصر، دار المعارف، ط٣، ج٢.

نزع الخافض في الدرس النحوي، حسين بن علوي بن سالم، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، ١٤٢٥هـ.

الوظائف التداولية في المسرح، ياسة ظريفة، رسالة ماجستير، قسنطينة، جامعة منتوري، ٢٠٠٩.

الوظائف النحوية بين المركزي والهامشي، لطيفة إبراهيم النجار، جامعة الإمارات العربية المتحدة، بحث منشور.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المراجع الالكترونية

الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير، محمد السيد عبد الرزاق، سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بحث منشور على الموقع

www.nawafithna.net/top

التداولية بين المنهج والطريقة، رخرور محمد،

http://www.aklaam.net/newaqlam/aqlam/show.php?id=15171.

التداولية منهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب، سعد بولنوار، بحث منشور،

http://www.qooob.com/showthread.php?t=24493.

التطفل على الأفعال في العمل، فاطمة حسن عبد الرحيم، بحث منشور، جامعة الملك عبد العزيز، منشور على الموقع www.etihadah.edu.sa.

التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح، من الموقع

http://shamela.ws/browse.php/book-606/page-65.

التوجيه المعنوي للبنية الصرفية في القرآن الكريم، د. لقمان مصطفى سعيد، بحث منشور، مجلة التربية والعلم – المجلد (17)، العدد (٢)، لسنة ٢٠١٠،

http://ar.islamway.net/book/7653?ref=rss2 .

التوظيف القرآني للطاقات الدلالية في اللغة العربية، محمد شبلي،

http://www.alukah.net/publications_competitions/./٣٧٧٧٣/١١٠٢٧

نقد وتصحيح لمفردات الرّاغب الأصفهاني، علي الكوراني العاملي، بحث منشور على الموقع

www.alameli.net.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"Implications of Bushra Derived Forms in the Glorious Qur'an (A Pragmatics Perspective)"

Abstract

Preparation Arwa Mohammed Suleiman Bani Domi, under the supervision of Dr. Mustafa Taher Al-hiaderh .

This message is based on the study of Bushra Derived Forms in the Glorious Qur'an, they vary between the Verbal formulas and nominal formulas, and through the application of Pragmatics approach to reach the intended meaning, and to the coherence to which each formula has with the context contained therein .

The study is based on a Pragmatics approach, who cares about the external and internal factors in the text, by looking at the external environment, and attention to the sender and receiver, and the appropriate rhetoric, to get to the meaning which reported on the verse .

Researcher found out that choosing of morphological form fit with addressee psychology and play a role in influencing him, and that the Glorious Qur'an chooses –through words– what is inflicted in hearts and implementing the required; since the pronunciation is the link between the speaker and the listener, and as far as the term is clear the addressee will be more closer and more influenced.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University